العوامل المؤثرة فى مفهوم التاريخ عند ابن تغرى بردي

محمد محمد مغاورى

طالب ماجستير تاريخ اسلامى كلية الأداب – جامعة عين شمس

الملخص

تعددت العوامل التى شكلت فكر ابن تغري بردي مابين احوال سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية ،وقد تأثر ابن تغرى بردى بكل هذة الاحوال وخاصة الاحوال الثقافية من حيث أهتمام السلاطين بمؤرخى العصر، واهتماهم بأنشاء المدارس ، كما كان لطبقته الاجتماعية التى نشأ بها أكبر الاثر فى فكره ؛ فقد تتلمذ على أيدى أكبر فقهاء وشيوخ عصره ، كما كان قريب الصلة من الأمراء والسلاطين وكبار موظفى الدولة بحكم صلة القرابة والصداقة التى كانت تربطه بهم ؛فجاءت رواياته التاريخية تتسم بالدقة بفضل قربه من الأحداث وشهادته عليها فى بعض الاحيان ،كما كان مهتماً بالالمام بمختلف العلوم ، وقد تيسرت له حياة رغدة ورثها عن أبيه ، فلم يشغل تفكيره بالدخول فى صراعات على الوظائف ، بل تفرغ للتحصيل والتأليف.

Abstract

There were manyfactors thatformed thethought of Ibn Taghri Bardibetweenpolitical, economic, social and cultural conditions, Ibn Taghri Bardiinfluenced byall of thesecases, especially the culturalconditionsin terms ofinterestsultansByHistorians ofage ,and theyinterest by establishment ofschools, as it wasa socialclass, which grewby thelargestimpactin the idea; ita studentat the hands ofthe biggestscholarsandeldersof his time, as it wasclosely relatedtothe princes andsultansand seniorcivil servantsby virtue ofkinshipand friendship, which had enjoyed with them; camehistoricalnovelsis accurate, thanks to its proximity to theevents andwitnessthemsometimes,ashe was interestedto familiarize themselves withthe variousciences, hasfacilitatedhislavishlifehe inheritedfrom his father, did notenter intohis thinkingrunningconflictson thejob, butdevoted himself tocollectingandauthoring.

تعددت العوامل التي شكلت فكر ابن تغري بردي التاريخي وتركت آثارها على منهجه، ما بين عصر انحدار سياسي كله مشاحنات وممتلئ بالتنافس على السلطة ونشأته العلمية على أيدي فقهاء عصره والذين كانت تربطه بهم صلة نسب، بالإضافة إلي قربه من البلاط السلطاني والتعامل المباشر مع بعض السلاطين؛ لاسيما وقد كان بعضهم يرتبط بهم المؤرخ بعلاقة مصاهرة وقرابة ومما يؤيد ذلك ان والده كان أميراً في البلاط السلطاني وتولى العديد من الوظائف الهامة في الدولة، تاركاً وراءه ثروة طالما ضمنت لابنه حياة كريمة، عكف فيها على التحصيل والدرس ولم يشغل فكره بالدخول في منافسات مع غيره جرياً وراء منصب؛ بالإضافة إلي ذلك كثرة تردده على القلعة والعلاقة المباشرة مع السلاطين، مما جعله يورد أخباراً وحوادث كشاهد عيان بسبب أقترابه من صانعي السياسة، كل هذا وغيره أثر في مفهوم التاريخ عند ابن تغري بردي.

١ـ ملامح عصر ابن تغري بردي:

أمتد نفوذ وسيطرة دولة المماليك الثانية (البرجية) على البلاد المصرية والشامية في الفترة من (٧٨٤ – ٩٢٣هـ / ١٣٨٢ – ١٥١٧م) وهؤلاء هم المماليك الذين أفردهم الملك المنصور قلاوون (٦٧٨ – ٦٨٩هـ / ١٢٧٩ – ١٢٩٠م) بالقلعة وكلهم من الجراكسة [١]، وسماهم المؤرخون (البرجية) نسبة إلي أبراج القلعة [٢]

أـ الأحوال السياسية

تميزت الدولة المملوكية الثانية في عصر الجراكسة بظاهرة التنافس على السلطة، ومحاولة إبعاد وراثة العرش بشكل أوضح مما كان عليه خلال الدولة المملوكية الأولى(٦٤٨-٧٨٤ه/ ١٢٥٠-١٣٨٢م) فقد عمل أمراء الجراكسة على إبقاء حق الحكم مشاعاً بين المماليك، يتولاه القادر منهم على ملئه. وتعتبر الظاهرة التالية نتيجة منطقية للظاهرة الأولى، وهي كثرة الفتن والثورات الداخلية، تلك التي اقتضتها محاولات الوصول إلي السلطنة [٣].

ولا شك أن البلاد قاست كثيراً في عهد المماليك الجراكسة من جراء المنازعات المستمرة بين طوائف المماليك. وما كان ينجم عن تلك المنازعات من حوادث وقتال في الشوارع. وزاد من شدة المحنة أن السلاطين عجزوا في ذلك العصر عن كبح جماح مماليكهم، مما جعلهم لا يجدون

---

(١)بلاد الجركس او الشركس وهى لفظة روسية تعنى القوقاز حيث كانوا مجاورين للتركمان ومع ذلك فقد لاحظ ابن اياس ان الجراكسة لم يكونوا كذلك تركا خلصاء وانهم كانوا يختلفون عنهم فقد يكونون من نسل تركى او حتى اصلهم عربى من نسل الغساسنة، ويقال ان اصلهم موطنهم كان بحيرة بيكال بسيبريا، للمزيد انظر ابن اياس ، بدائع الزهور فى وقائع الدهور،ج٢، تحقيق: محمد مصطفى زيادة ،القاهرة ١٩٦٣، ص٢٥٧؛ William Benton , The New Encyclopadia Britannica, great britian , london,1973 AD.

(٢)على ابراهيم حسن ، دراسات فى تاريخ المماليك البحرية ، القاهرة د.ت ، ص٥٠.

(٣) إبراهيم طرخان، مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة، القاهرة ١٩٦٠م،(مقدمة الكتاب).

وسيلة للاحتفاظ بمراكزهم سوى الإيقاع بين(الظاهرية والأشرفية[٤]) [٥]. وبالنسبة للفترة التي عاش فيها ابن تغري بردي فقد عاش بين سنتي (٨١٢ – ٨٧٤هـ / ١٤٠٩ – ١٤٦٩م) منذ عهد فرج بن برقوق والذى تولى فترتين مابين(٨٠١هـ-٨١٤هـ/ ١٣٩٨-١٤١١م) حتى أوائل عهد قايتباى (٨٧٢ – ٩٠١هـ / ١٤٦٧ – ١٤٩٥م) [٦].

على المستوى الخارجي نجد أنه في السنوات الأخيرة من حكم برقوق بدأ خطرا جديدا يهدد السلطنة، ذلك هو خطر تيمورلنك الذي كان ينتمي إلي بيت من أشراف التتار [٧]. ولد في مدينة سمرقند التي كانت قاعدة لعملياته العسكرية، و تمكن بواسطتها من فرض نفوذه على بلاد ما وراء النهر وخراسان وطبرستان حتى استولى على مدينة تبريز- في إيران حالياً- سنة (٧٧٠هـ / ١٣٦٨م)[٨].

و بعد أن إجتاح كل أواسط آسيا زحف بجنوده غرباً فأخرج أحمد بن أويس [٩] من بغداد وغزا آسيا الصغرى وتوغل حتى بحيرة (وان) وهناك دحر (بايزيد) [١٠] زعيم قبيلة قرة قيون التركمانية، ثم استعد لتوجيه العاصفة نحو الدولة المصرية، ولكنه انشغل بعصيان في إحدى البلاد فرجع لإخماده وكان تيمور قد وجه رسالة لبرقوق تشبة في لهجتها رسالة هولاكو إلي قطز

---

(٤) يقصد بها سائر طوائف المماليك وتنسب كل طائفة من المماليك الى استاذهم اى السلطان السابق الذى كان يمتلكهم مثل الظاهرية نسبة للظاهر برقوق والناصرية نسبة للناصر فرج للمزيد :انظر ابن تغرى بردى ،النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، ج١٦ ، تحقيق : محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية القاهرة ١٩٩٢ ، ص٢٠٣.

(٥) سعيد عاشور، الأيوبيون والمماليكفى مصر والشام ، القاهرة ١٩٦٦، ص٢٦٨.

(٦) قاسم عبده قاسم، في تاريخ الأيوبيين والمماليك،القاهرة ٢٠٠١م، ص٢٧٨.

(٧) تيمورلنك: ويعرف بإسم تمرلنك ابن ايتمش قنلغ بن زنكي بن سيبا ابن طارم، ويعرف بأسم تيمور كوركان أي صهر الملوك بالأعجمية، ومعنى تيمور أي الأعرج بالأعجمية، ولد سنة (٧٢٨هـ/ ١٣٢٧م)، ولي اتابكية محمود ابن طقتمش آخر الملوك من ذرية جنكيزخان، ثم ولي السلطنة من بعده واستطاع أن يسيطر على ما وراء النهر وسمرقند وخراسان والعراق والشام، توفي أثناء مسيره للصين ونقله حفيده الى سمرقند ودفنه فيها سنة ٨٠٧هـ/١٤٠٤م، انظر الحنبلي، شذرات الذهب، ج٧،تحقيق: عبد القادر أرناؤطى ، دار ابن كثير

، القاهرة ١٩٨٦، ص ٦٢.

(٨)احمد عبد الكريم سليمان ، تيمور لنك ودولة المماليك الجراكسة ، دار النهضة العربية القاهرة ١٩٨٥،ص١٤؛ قاسم عبده قاسم، في تاريخ الأيوبيين والمماليك، ص٢٧٨.

(٩)كان يحكم الدولة الجلائرية وهى دولة من الدول التى نشأت على انقاض دولة مغول فارس وكانت تشمل بغداد وتوريز فى اذربيجان وعاصمتهم توريز وقتل سنة (٨٠٥هـ/١٤٠٣م) للمزيد انظر احمد عبد الكريم ، تيمور لنك ودولة المماليك الجراكس ، ص٢٦.

(١٠)هو السلطان العثمانى الذى هزمة تيمورلنك قرب انقرة وتوفى سنة(٨٠٥هـ/١٤٣٠م).

سنة (٦٥٨هـ / ١٢٦٠م) يطلب منه الاستسلام فوراً [١١] قائلاً فيها :**"فالويل كل الويل إن لم يمتثل أمورنا، فإنا قد خربنا البلاد واهلكنا العباد وأظهرنا في الأرض فساداً"** [١٢].

ثم توفي برقوق بالقاهرة(٨٠١هـ / ١٣٩٩م) ولم تتح له فرصة إظهار شجاعته ؛ وخلف برقوق ابنه الناصر فرج وأعد جيشاً لمواجهة تيمورلنك بالشام ثم أخذ تيمور ينتقل من مدينة إلي أخرى مخرباً مدمراً فذعرت القاهرة وانتشرت أخبار بطش تيمور وانتقامه فى صفوف الجيش الذي وصل به السلطان إلي دمشق. بعد ذلك ترك الناصر فرج الجيش ورجع إلي القاهرة لينهزم جيشه قرب حلب، فسقطت القلعة بعد حصار شهر وأسلم تيمور المدينة للحرائق والنهب، ثم رضخ فرج بن برقوق لشروط تيمورلنك فأطلق سراح من لديه من أسرى التتار وقبل أن يسك العملة بإسمه، ومات تيمورلنك سنة (٨٠٨هـ / ١٤٠٥م) دون أن يحقق حلمه في احتلال مصر [١٣].وقد وصف ابن حجر ذلك بقوله:**"واستحر القتل والاسر فى اهل حلب ،من التتار ، فقتلوا الرجال وسبوا النساء والاطفال ،وقتل خلق كثير من الاطفال تحت حوافر الخيل وعلى الطرقات واحرقوا المدينة"** [١٤].

كما صور ابن تغري بردي بشاعة ما فعله تيمورلنك في مدينة حلب قائلاً :**"واستمر النهب والسبى والقتل بحلب في كل يوم من قطع الأشجار وهدم البيوت وإحراق المساجد وجافت حلب وظواهرها من القتلى بحيث صارت الأرض منهم فراشاً لا يجد الشخص مكاناً يمشي عليه إلا وتحت رجليه رمة قتيل وعمل تيمور من رؤوس المسلمين منابر مرتفعة عن الأرض نحو عشرة أذرع"** [١٥]. ونلاحظ من كل هذا عرضه المميز لأحداث عصره مما يدل على امتلاكه لملكة التصوير التاريخى لوقائع حية.

وظهر ابن تغري بردي حانقاً على الأمراء الذين تركوا دمشق لتيمورلنك غاضباً لفعلتهم ورجوعهم مصر قائلاً " **عليهم من الله ما يستحقوه"** [١٦]واصفاً ندمهم على ترك المدينة قائلاً **"فندم عند ذلك الأمراء على الخروج من دمشق حيث لا ينفع الندم وقد تركوا دمشق أكلة لتيمور وكانت يوم ذاك احسن مدن الدنيا وأعمرها"** [١٧] . بعد مقتل فرج بن برقوق بدمشق عام (٨١٤هـ / ١٤١١م) ظهرت مشكلة على المسرح السياسي وهي من يلي الحكم ، الأمير شيخ المحمودي[١٨] أم الأمير نوروز[١٩] حتى فاز الأمير شيخ في حلبة التنافس مع نوروز وتولى

---

(١١) وليم ميور، تاريخ دولة المماليك في مصر، ترجمة: محمود عابدين القاهرة ١٩٩٥م ، ص١٢٦.

(١٢)ابن عربشاه، عجائب المقدور في أخبار تيمور، ص٩٧.

(١٣) وليم موير، تاريخ دولة المماليك، ص١٣٤.

(١٤)ابن حجر ،انباء الغمر بابناء العمر،ج٤، تحقيق : محمد عبد المعيد خان، دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٦، ص١٩٣.

(١٥)ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج٦،(طبعة كاليفورنيا)، ص٥٢.

(١٦) ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة ،ج٦ ،(طبعة كاليفورنيا)، ص٦٠.

(١٧) ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة ،ج٦ ، (طبعة كاليفورنيا) ، ص٦١.

(١٨)المؤيد شيخ المحمودي: قدم الى القاهرة وعمره اثنا عشرة سنة، أشتراه برقوق من تاجر المماليك وجعله خاصكياً فتعلم الفروسية واللعب بالرمح والضرب بالسيف تولى أمارة الحاج ثم نيابة الشام تسلطن سنة

السلطنة ولم يرض نوروز بذلك الوضع فأعلن الثورة بالشام ورفض الاعتراف بالسلطان مؤيد شيخ وامتنع عن ضرب السكة بأسمه مما دفع المؤيد شيخ إلي الخروج في العام التالي لاعتلائه العرش إلي الشام حيث تخلص من نوروز بالقتل[٢٠].

كما أورد (العيني) صاحب ترجمة المؤيد شيخ توليه الحكم قائلاً **"لما كان مستهل شعبان من سنة خمس عشرة وثمانمائة اتفقت الأمراء من الأكابر والأصاغر، خصوصاً من العلماء والصلحاء والقضاة على تولية مولانا السلطان مؤيد، لاضطراب الأمور، واحتياج الزمان إلي سلطان كبير، يفهم الخطاب ويرد الجواب ويكون صاحب لسان وحسام"** [٢١]. وقد أوضح ابن تغري بردي سياسة المؤيد شيخ بقوله **"كان يقدم الشجاع ويبعد الجبان من كل جنس من المماليك، لا يميل إلي جنسه ويترك غيره، بل حيثما ظهرت له النجابة من الشخص قربه ولا يلتفت إلي جنسه كغيره من الملوك"** [٢٢]

وخلال حكم هذا السلطان جدد الإغارة الهجوم ثانية على الإسكندرية وعادوا بأسرى وغنائم، ولعل هذه بعض الأسباب التي نفذت من أجلها على اليهود والنصارى حينذاك قوانين هي غاية في الصرامة [٢٣].أما برسباى فقد تولى الحكم عام (٨٢٥هـ / ١٤٢١م) قال عنه ابن الصيرفي **"رأي أهل الدولة ((وأصحاب الحل والعقد))[٢٤] أن تكون السلطنة لشخص كبير يفهم الخطاب ويرد الجواب وينظر في أحوال الناس، ويدبر الأمر، وينصر المظلوم، ولم يروا كفؤا لذلك الا نظام الملك برسباى"** [٢٥].

وقد اتصف عهده الذي دام ستة عشر عاماً. بالاستقرار وقلة الاضطرابات مما مكنه من القيام بعمل حربي هو غزو جزيرة قبرص. حيث تكررت أعمال السلب والنهب لمدينة

(٨١٥هـ/١٤١٢م) وكان ملكاً شجاعاً شهماً عارفاً بالحروب، سيوساً، بنى الجامع المؤيدي ، توفي سنة (٨٢٤هـ/١٤٢١م) انظر الحنبلي، شذرات الذهب ، ج١٣، ص ١٠٧.

([١٩]) الأمير نوروز: كان من مماليك الظاهر برقوق ثم رقاه الى ان جعله رأس نوبة الأمراء وبعد مقتل الناصر فرج اصبح نوروز نائب الشام ولما تولى المؤيد شيخ ،خرج نوروز عن طاعته ،فخرج المؤيد لقتاله حتى ظفر به وقتله سنة ٨١٧ه/ ١٤١٤م، أنظر ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج١٣ ، تحقيق: محمد حسين شمس الدين ، ص٢٧١,٢٧٢.

([٢٠]) سعيد عاشور، الأيوبيون والمماليك، ، ص٧٥.

([٢١]) بدر الدين العيني، السيف المهند في سيرة الملك المؤيد، تحقيق: فهيم شلتوت، القاهرة ١٩٦٦م،ص٣٠٥.

([٢٢]) ابن تغرى بردى، المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي،ج٢ ، تحقيق: محمد محمد أمين، القاهرة ١٩٨٤م ، ص٢٠٦.

([٢٣]) ابن الصيرفي، نزهة النفوس والأبدان،ج٣، تحقيق: حسن حبشي ، القاهرة د.ت، ص٥.

([٢٤])مجموعة من كبار الفقهاء والعلماء يقومون دائما بالحكم فى المسائل الشائكة التى تمر بها الامة الاسلامية ، أنظر الماوردى ، الاحكام السلطانية والولايات الدينية ، تحقيق: احمد حافظ ، المكتبة الازهرية للتراث ، القاهرة ٢٠١٣،ص٢٨.

([٢٥])ابن الصيرفى، نزهة النفوس، ج٣، ص٥.

الإسكندرية من قبل الصليبيين فقام لوزجنان[٢٦] بحملة صليبية كبرى على مدينة الإسكندرية سنة (٧٦٧هـ / ١٣٦٥م) اقتحم فيها الإسكندرية وعاث فيها فساداً من سرقة ونهب ثم هربوا من سفنهم عائدين [٢٧]. بيد أن هذه الأعمال أغضبت برسباى بشدة ،وأوضح ذلك ابن تغري بردي قائلاً **"فشق ذلك على الملك الأشرف إلي الغاية"** [٢٨] فأرسل ثلاث حملات لغزو قبرص سنة (٨٢٧، ٨٢٨، ٨٢٩هـ/١٤٢٣، ١٤٢٤، ١٤٢٥م) نجحت الحملة الأخيرة في إنزال هزيمة كبرى بالقبارصة وأسر الملك جانوس ومنذ ذلك الوقت وجزيرة قبرص تعتبر من جملة بلاط السلطان[٢٩].

بعد وفاة برسباى تولى إبنه العزيز يوسف بن برسباى الذي لم يتسطع الاحتفاظ بالعرش أمام نفوذ الأمير جقمق الذي استطاع ان يتولى السلطنة (٨٤٢ – ٨٥٧هـ / ١٤٣٨ – ١٤٥٣م) وفي عهده تم غزو جزيرة رودس التي كانت مركزاً هاماً للصليبيين بعد طردهم من فلسطين؛ حيث اتخذها فرسان الاسبتارية قاعدة لهم يشنون منها غاراتهم على نحو ما كانوا يفعلون في قبرص [٣٠]. وعهد جقمق بالذات شهد إذكاء الروح الصليبية واشتدادها خاصة بعد فشل الحملات الثلاث التي وجهها لغزو رودس في أعوام (٨٤٤، ٨٤٧، ٨٤٨هـ/ ١٤٤٠، ١٤٤٣، ١٤٤٤م). وانتهت هذه الحملات بعقد صلح بين الطرفين[٣١] .

ويُذكر أنه في عهد جقمق ازدادت صلة ابن تغري بردي بالبلاط السلطانى، وذلك بسبب رابطة الصداقة والمصاهرة التي ربطت بينه وبين المقام الناصري محمد بن السلطان [٣٢] الذي

---

(٢٦) هو بطرس الاول لوزجنان وهو ملك قبرس الذى قام بحملته الصليبية الكبرى على الاسكندرية سنة ٧٦٧هـ/١٣٦٥م ، أنظر سعيد عاشور ، العصر المماليكى فى مصر والشام ، دار النهضة العربية ،القاهرة ١٩٦٥، ص١٦٤.

(٢٧) سعيد عاشور، مصر في عصر الأيوبيين والمماليك، موسوعة تاريخ مصر عبر العصور، القاهرة د.ت، ص٤١٨.

(٢٨) ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج٤، تحقيق: جمال محرز، فهيم شتلوت ، القاهرة د.ت ، ص٢٤٩

(٢٩) ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج٥،تحقيق : محمد حسين شمس الدين ، ص٣٤١.

(٣٠) قاسم عبده قاسم، عصر سلاطين المماليك (الأحوال السياسية والاجتماعية) ، القاهرة ٢٠٠٧م، ص١٥٢.

(٣١) أحمد دراج، المماليك والفرنج في القرن التاسع الهجري – الخامس عشر الميلادي ، القاهرة ١٩٦١م ، ص٤٨.

(٣٢)كان بينة وبين ابى المحاسن صحبة قديمة ازدادت توثقا بعد زواجة من ابنة اختة (شقراء)ومن اجلة صنف ابو المحاسن كتابه النجوم الزاهرة ولكن المنية عاجلت هذا الامير قبل ان يتسلطن وذلك سنة٨٤٧هـ/١٤٤٣م ، انظر ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج١٥، تحقيق: محمد حسين شمس الدين ، ص٢٣٥-٢٣٧؛ ابن تغري بردي، الدليل الشافي على المنهل الصافى، ج٢، تحقيق : فهيم شلتوت، القاهرة ١٩٩٨، ص ٦١٠.

كان مرشحاً للسلطنة بعده. وكذلك بسبب صلته القوية بكاتب السر [٣٣] كمال الدين محمد بن البارزي الذي كان أبرز رجال الدولة[٣٤].

وفي عهد الأشرف اينال (٨٥٧ – ٨٦٥هـ / ١٤٥٣ – ١٤٦٠م) سقطت القسطنطينية سنة ٨٥٧هـ/١٤٥٣م وصارت عاصمة للدولة التركية، فكان خبر سقوطها والنجاح الذي ناله العثمانيون عقب سقوطها باعثاً على الفرح الشديد في القاهرة، وابتهج الناس لذلك، ولم يدروا أنه سيكون الأتراك في القريب العاجل ألد أعدائهم. وقد صارت الوفود بين الدولتين تحمل الهدايا عدة مرات. ورفع إينال إلي السلطان (محمد الثاني)[٣٥] التهاني لقهره البيزنطيين في قصيدة ملكية [٣٦]. ويبدو أن ابن تغري بردي لم يكن وثيق الصلة بالأشرف إينال، إذ لم يكن يطلع إلي القلعة في السنة إلا مرة واحدة أو مرتين ليقضي حاجة ضرورية له[٣٧]. بعد الأشرف إينال جاء ابنه أحمد سنة (٨٦٥هـ / ١٤٦٠م) ثم الظاهر سيف الدين يلباى الملقب بالمجنون سنة (٨٧٢هـ / ١٤٦٧م) وظلت حالة عدم الاستقرار حتى أن أحدهم لم يبق في منصب السلطنة إلا ليلة واحدة ونقصد بذلك السلطان خاير بك (٨٧٢هـ / ١٤٦٧م) الذي تسلطن في المساء وتم عزله في الصباح وهكذا حتى قام السلطان الأشرف قايتباى في منصب السلطنة سنة (٨٧٢هـ / ١٤٦٧م) وعندئذ دخلت البلاد في مرحلة مؤقتة من الاستقرار ذلك لأنه ظل في الحكم قرابة تسعة وعشرين عاماً (٨٧٢ – ٩٠١هـ / ١٤٦٧ – ١٤٩٦م) [٣٨]. وقد توفي مؤرخنا في أوائل عهد قايتباى (٨٧٤هـ / ١٤٦٩م).

ولعل الظاهرة الواضحة في تلك الفترة هي انعدام روح النظام وكثرة المنازعات بين طوائف المماليك وانعكس ذلك على ابن تغري بردي حتى أنه وصف ما آل إليه حالهم في القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادى بقوله **"جهادهم الأفراق بالرئيس، وغزوهم في البني والدريس وحظهم منقام ولا مروءة لهم والسلام"** [٣٩] ونستخلص من ذلك رفض ابن تغري بردي ونبذه للخروج عن الحاكم وإيمانة بطاعة ولى الامر. ويكفي للدلالة على مدى التدهور السياسي أن نورد ما ذكره ابن أياس أن سنة (٨٧٢هـ/١٤٦٧م) حكم فيها أربعة سلاطين منهم

([٣٣])كانت تطلق على رئيس ديوان الانشاء ثم حرف اللقب الاخير وتحول الى كاتم السر، للمزيد انظر حسن الباشا، الالقاب الاسلامية فى التاريخ والوثائق والاثار ،الدار الفنية للنشر، القاهرة١٩٨٩،ص٢١.

([٣٤]) أحمد دراج، نشأة أبو المحاسن وأثرها في كتابته التاريخية، بحث من ندوة المؤرخ ابن تغرى بردى، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٤م، ص٧٠ .

([٣٥]).هو السلطان محمد الثاني بن السلطان مراد الثاني .تولى الخلافة العثمانية سنة(٨٥٤هـ /١٤٥١م)، توفى سنه (٨٨٦هـ/١٤٨١م). للمزيد انظر عبد السلام فهمى، السلطان محمد الفاتح: فاتح القسطنطنية، دار القلم للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٩٣.

([٣٦]) وليم موير، دولة المماليك ، ص١٦٢.

([٣٧])أحمد دراج، نشأة أبو المحاسن ، ص٧٠.

([٣٨]) سعيد عاشور، الأيوبيون والمماليك، ص٢٨٨.

([٣٩]) ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج٧، (طبعة كاليفورنيا)، ص٣٢٩.

سلطان ليلة واحدة قائلاً **"خرجت هذه السنة وقد وقع فيها من الشرور والفتن ما لا يكاد ان يضبط"**[٤٠].

ب- الأحوال الاقتصادية

تُعتبر ثروة مصر في عصر سلاطين المماليك الدعامة التي مكنتهم من القيام بذلك النشاط الاقتصادي الواسع داخل مصر وخارجها وعند الكلام على النشاط الاقتصادي في ذلك العصر نجد أن التجارة كانت تحتل مكانة خاصة بوصفها المصدر الأول لثراء المماليك وقوتهم[٤١].

يُذكر ان الاتساع ساعد في سهولة حركة التجارة، إذ وصلت دولة المماليك أقصى اتساع لها خلال القرن التاسع الهجرى/ الخامس عشر الميلادي، فأضافت قبرص وحاولت ضم رودس، كذلك بسطت نفوذها على أعالى الفرات وأطراف آسيا الصغرى الشرقية وهذا ما أتاح لها مركزممتاز [٤٢].

كانت التوابل من الفلفل والبهار والقرنفل على رأس البضائع التي قامت عليها عظمة دولة المماليك وقام بعض السلاطين بتطبيق سياسة الاحتكار التجاري وخاصة بالتوابل والبخور مما أدى إلي ارتفاع أثمانها في أوروبا، كذلك كان التجار يفتعلون الأزمة الاقتصادية أحياناً، لاسيما زمن الفيضان حتى يمكنهم من تحقيق الربح في ظل القلق الذي كان يساور الناس[٤٣]. وقد كانت الإجراءات والرسوم الجمركية هي الدافع وراء محاولة اكتشاف طريق آخر للتجارة وباكتشاف طريق رأس الرجاء الصالحسنة٩٠٤ه/١٤٩٨م فضل الأجانب سلوكه رغم مخاطره بسبب ارتفاع أسعار سلع الكارم[٤٤] نتيجة زيادة الرسوم وسوء معاملة السلطات المملوكية، إلا أن هناك رأى اخر يرى أنه حتى نهاية العصور الوسطى لم يسمع عن جمارك مصر والشام ما يشين القائمين عليها وظلت الجمارك مثالاً للدقة ويلقي فيها الأجانب الرعاية، إلا أنه منذ أواخر القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي وجمارك مصر تتدهور في مينائي جدة والإسكندرية [٤٥]. ويعلل ابن أياس ذلك **"لأن السفن الأوروبية بدأت تتوغل في البحر الأحمر، وكانت تطارد سفن الهند المحملة بسلع الكارم وتصادر ما تستولى عليه منها"** [٤٦].

---

(٤٠) ابن اياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج٣، ص١٨

(٤١) سعيد عاشور، الأيوبيين والمماليك ، ص٤٢١.

(٤٢) إبراهيم طرخان، مصر في دولة المماليك الجراكسة ، ص٤.

(٤٣) قاسم، عصر سلاطين المماليك، ص٣٤٧.

(٤٤) الكارم مشتق من الكانم وهى منطقة فى وسط أفريقيا وتطلق على من يعملون بتجارة التوابل كالقرنفل والفلفل ، أنظر القلقشندى ، صبح الاعشى ، ج٤، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة ، وزارة الثقافة والأرشاد القومى ، القاهرة ١٩٦٣.ص٣٢.

(٤٥) محمد عبد الغني الأشقر، تجارة التوابل في مصر في العصر المملوكي ، القاهرة ١٩٩٩م، ص٢٤٦.

(٤٦) ابن أياس، بدائع الزهور، ج٥، ص١٠٥.

وقد فسدت العملة الذهبية المصرية لقلة وزنها وفساد عيارها، فضلاً عن ارتفاع أسعارها، الأمر الذي أدى لفقدان الاقتصاد المصري أساسه الذي كان يعتمد على امتلاك الذهب، فقد قام المؤيد شيخ بتخفيض سعر الذهب بدراهمه الفضية، أما الفضة فقد انكمشت الدراهم الفضية ولم تعد قادرة على سد حاجات تجارة الكارم، فانفسح المجال أمام العملات الفضية الأجنبية في السوق المصرية، ونرى في أعمال السلطان برسباى رغبة في إصلاح النقد الفضي المصري بما يحقق استقراره وتدعيم قيمته، إلا أن هذه المحاولات لم تفلح [٤٧]. وتحدث ابن تغري بردي عن نظام الحمايات [٤٨] والذي أثر على الاقتصاد قائلاً **"غير أن الحمايات كانت كثيرة في أيامه (يقصد أينال) وهذا أكبر أسباب خراب الديار المصرية وقراها ومن يوم تجددت هذه الحمايات فست أحوال الأرياف قبليها وبحريها"** [٤٩]. وانعكس ذلك على ابن تغري بردي قائلاً **"لو منع ذلك لم يُضر أحد من الناس وانتفع الناس جميعاً"** [٥٠].

ج- الحياة الاجتماعية:

كان المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك مجتمعاً طبقياً ، وهو الأمر الذي انعكس بوضوح على كافة مظاهر الحياة اليومية في المجتمع المصري. كما أن المجتمع المصري لم يبق على حال من الجمود طوال العصر. هذا المجتمع الطبقي انقسم إلي طبقتين رئيسيتين، الحاكم والرعية. عاشت الطبقة الحاكمة حياة اجتماعية خاصة بها لا يمكن أن نقول أنها كانت حياة اجتماعية مصرية. فقد جاء المماليك إلي مصر غرباء وعاشوا فيها غرباء. وحافظوا على غربتهم، أما المصريون فقد واصلوا حياتهم دون أن يعبأوا بالحكام [٥١] وفي رصد سريع لفئات المجتمع المصري في العصر الجركسي نجد أن التجار شكلوا فئة اجتماعية عليا في المجتمع القاهري ومارسوا دوراً مهما في دعم الاقتصاد المصري. مما جعلهم يقتربون إلي حد كبير من دائرة السلطان دون غيرهم من الفئات الاجتماعية الأخرى بما فيها العلماء خاصة إذا علمنا أنهم كانوا المصدر الرئيسي للضرائب [٥٢].

عند الحديث عن الحياة الاجتماعية في العصر المملوكي لابد وأن نحدد الطبقات الاجتماعية التي كانت موجودة تلك الفترة وعلاقة هذه الطبقات فيما بينها وكذلك الدور الذي كانت تلعبه، وإذا كانت الأرض هي الوسيلة الأساسية للإنتاج آنذاك فقد كانت الطبقة التي تملكها هي الطبقة التي تسيطر على قوى المجتمع كله، فقد كان الحاكم هو المالك الحقيقي لكل أراضي البلاد، وهو الذي كان يقطعها لمن يشاء من الأمراء الذين يوزعونها على الفلاحين نظير جباية

([٤٧]) محمد عبد الغني الأشقر، تجارة التوابل ، ص٢٢١ ، ٢٢٢.

([٤٨]) الحمايات والمستاجرات: هي مكوس يفرضها السلطان أو الأمير على بعض الأراضي والمتاجر والمراكب والأرزاق وقد اطلق عليها هذا الاسم لقيام الأمير بحماية الشخص الذي يدفع هذا المكس ،أنظر شهاب الدين العمري ، التعريف بالمصطلح الشريف، مطبعة العاصمة ، القاهرة ١٨٩٤م، ص ١١٠.

([٤٩]) ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج١٦، تحقيق: محمد حسين شمس الدين ، ص١٣٦.

([٥٠]) ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة ،ج١٦، تحقيق: محمد حسين شمس الدين ، ص١٣٦.

([٥١]) قاسم، عصر سلاطين المماليك ، ص٣١٢.

([٥٢]) علا طه رزق، عامة القاهرة في عصر سلاطين المماليك ، القاهرة ٢٠٠٣م ، ص٤٠.

الضرائب[٥٣]. لم يكن الفلاحون يملكون الأرض إذن، بل كانوا ينتفعون بها نظير الضرائب. فإذا تخلفوا عن ذلك، تسحب الأرض منهم وتعطى لغيرهم، ويستخدمون وسائل إنتاج مرت عليها آلاف السنين وقد كان السلطان وأتباعه من المماليك هم الذين ينتفعون بثمرات الأرض وكانوا يمثلون السلطة الحقيقية في البلاد، تلك الطبقة التي كانت تتربع فوق قمة المجتمع، فكان السلطان وحاشيته يسخرون كل شيء لملذاتهم[٥٤].

وبين هاتين الطبقتين كانت تعيش طبقات أخرى لم تصل لمرحلة السادة ولم تهبط إلي درجة الفلاحين. فقد كانت هناك طبقة التجار وتليها طبقة الحرفيين ، من أرباب الحرف والبضائع الذين خضعوا لنظام الشياخة ويتولاه شيخاً للحرفة ويقوم بتنظيم الصلة بين الحرفيين وبين التجار، وبينهم وبين الحكام في جمع الضرائب المفروضة، ولكل شيخ حرفة يطلق عليه (أسطى) فيقال شيخ الخبازين وشيخ الطباخين[٥٥] وكانت هناك فئة أخرى من الشعب لا يمكن إغفالها وهي فئة العلماء والموظفين، فقد كان العلماء يعيشون في رغد من العيش وكانوا هم الصلة الروحية بين السلطان والرعية، أما الموظفون فكانوا ينظمون شئون المال ويوردونه[٥٦]. ومن الحرف المحقرة في المنظور الاجتماعي (الدعارة) و (القوادة) التي ساعد على انتشارها في المجتمع المصري آنذاك أن الدولة كانت تعترف بها حتى أنها جعلت لهذه الحرفة (الدعارة) ضامنة وكانت هذه الضامنة تتعهد بدفع مبلغ مالي إلي الدولة مقابل أن تتولى هي مهمة جمع ضريبة المغاني من النساء البغايا مع تعهد الدولة بحمايتهم وقد ساعد على انتشارها الفروق الطبقية بالمجتمع ، وقد نوهت المصادر أيضاً بطائفة الحرافيش او الزعار[٥٧] التي شكلت الجزء الأكبر من سواد العامة بالقاهرة. وأطلقت هذه التسمية مجازاً على أصحاب الحركات الثورية[٥٨] .

أما علاقة المماليك بباقي أبناء المجتمع فقد عاش هؤلاء منفصلين عن غيرهم من الطبقات الأخرى، ومنعوا غيرهم من الانخراط الى صفوفهم أو التزاوج معهم إلا فيما ندر[٥٩]،

([٥٣]) فوزي جرجس، دراسات في تاريخ مصر السياسي منذ العصر المملوكي ، القاهرة د.ت ، ص٣٠.

([٥٤]) فوزي جرجس، دراسات في تاريخ مصر ، ص٣١.

([٥٥])علاء رزق، عامة القاهرة، ص٤٦؛ فوزي جرجس، دراسات في تاريخ مصر السياسي، ص٣١

([٥٦]) علاء رزق، عامة القاهرة، ص٤٦؛ فوزي جرجس، دراسات في تاريخ مصر السياسي، ص٣١.

([٥٧])الحرافيش : اى الرعاع وضعاف الخلق والمتشرد والزعار جمع زاعر وهو اللص والمحتال ، أنظر المقريزى ،أتعاظ الحنفا بأخبار الائمة الفاطميين الخلفا ، ج١، تحقيق: جمال الشيال ، القاهرة ١٩٤٨، ص١٧٤،هامش المحقق رقم(٤) ؛ انور زناتى ، معجم مصطلحات التاريخ والحضارة ، دار زهران ، الاردن ٢٠١٠، ص١٠٤.

([٥٨]) احمد عبد الرازق ، المرأة فى مصر المملوكية ، مكتبة الشريف ، القاهرة ١٩٧٥ ، ص٤٠ ؛علاء رزق ،عامة القاهرة، ص٤٧.

([٥٩])علي ابراهيم حسن ، تاريخ المماليك البحرية، ط٢، القاهرة ١٩٦٧م، ص ٢٧؛

Dopp, (P.H), Le caire vu par Les Voyageurs Oecidentaux du Moyen age , Bulletine de La S.R.de Geographie d Egypte , 1950 , p. 135.

واقتصرت الأعمال العسكرية على هؤلاء ومنعوا باقي أبناء المصريين من الدخول في الجيش إلا بعض الأعمال غير العسكرية كوظائف القلم[٦٠].

بالرغم من أن المماليك انشغلوا بحروب عديدة إلا أنه كان أهم ما يميز بلاطهم حفلاته الباذخة، وتألفت هذه الحفلات من الرسوم الملوكية، واشترك فى هذه المناسبات الرسمية السلطان والأمراء، وكانت تشمل أعياداً إسلامية وأعياداً مصرية وشعبية وأعياداً قبطية، وحتى أعياد خاصة بالمماليك وكانت هذه الأعياد تمد فيها الأسمطة والمآدب [٦١].ومن أشهر الاحتفالات لدى المصريين وفاء النيل وكسر الخليج وعيد (النيروز[٦٢]) [٦٣].

كما شهد العصر المملوكي حراكاً اجتماعياً لبعض الأفراد الذين كانوا من الفئات الدنيا ثم تمكنوا بطرق مشروعة أو غير مشروعة من التسلق حتى وصلوا لقمة المجتمع، ففي سنة (٨٥٢هـ / ١٤٤٨م) تولى أحد الطباخين – وكان أمياً – وظيفة الوزارة وقد دفع أموالاً طائلة لهذه الوظيفة[٦٤] ، ويبدو أن ابن تغري بردي لم يكن راضياً عن هذا التحول الاجتماعي لأرباب الحرف والصنائع في تقلدهم الوظائف العليا، ولم يأت هذا الرأي من فراغ وإنما جاء انعكاساً لانتماءه الطبقي حيث كان كما – سبق وأشرنا- ينتمي لطبقة الخاصة بأعتبار والده أميراً مملوكياً. وفي بعض الأحيان يظهر لنا ابن تغري بردي بمظهر الثائر على الأوضاع الاجتماعية السيئة حينما طالب السلطان الأشرف إينال أن يلغي نظام الحمايات قائلاً **"والعجيب أنه ليس لها نفع على السلطان ولا على بلاده، والملك لا يلتفت إلي إزالتها، مع أنه لو منع ذلك لم يُضر أحد من الناس، وانتفع الناس جميعاً بمنعها وتساوت الناس، وبالمساواة تعمر جميع البلاد"** [٦٥]، ونفهم من هذا إيمانه بمبدأ العدالة الاجتماعية وهو من العوامل التى اثرت فى فكره. وفى زمن السلطان العزيز جمال الدين يوسف استمر البذل [٦٦] قائما على الوظائف المدنية والعسكرية .كما شاع فى عهد خليفتة الظاهر جقمق الذى ولى السلطنة سنة(٨٤٢ه/١٤٣٨م) بدليل مايروية السخاوى فى ترجمتة لأحد القضاة الذى خلع علية فى سنة(٨٤٨ه/١٤٤٤م) بكتابة سر حلب بعد أن بذل

---

[٦٠] شاخت بوزورث ، تراث الاسلام، ج١، ، ترجمة محمد زهير السمهوري، تحقيق شاكر مصطفى، ط٢، الكويت ١٩٨٨م، ص ٢٧٨؛ حسن، تاريخ المماليك البحرية، ص ٢٧.

[٦١] عبد المنعم ماجد، نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر،ج٢، القاهرة ١٩٦٧م، ص١٦٣.

[٦٢]هو أول يوم في أول شهر من السنة الجديدة، ومعناه باللغة الفارسية اليوم الجديد، لان الجديد في لغتهم (نو) واليوم روز، وهو من اعظم الأعياد عندهم، وفيه يفتتح الخراج، وقد اتبعت الدولة العباسية هذا التقليد فأعتبروه موعداً لجباية الخراج ،أنظر المسعودي، التنبيه والاشراف، مكتبة خياط ، بيروت، ١٩٦٥م ص ٢١٥؛ و النوروز القبطي هو أول يوم من شهر توت، أبو الريحان البيروني، ، الأثار الباقية عن القرون الخالية، تحقيق أدورد سخاو ، لايبزخ، المانيا ١٩٢٣م ص٢٤٢ .

[٦٣] قاسم، عصر سلاطين المماليك، ص٣٠٤.

[٦٤] علاء رزق، عامة القاهرة، ص٤٤.

[٦٥]ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج١٦، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، ص١٣٦.

[٦٦] ظاهرة البذل والبرطلة يقصد بها الرشوة مقابل التعيين فى الوظائف للمزيد انظر احمد عبد الرازق،البذل والبرطلة زمن سلاطين المماليك ،الهيئة المصرية للكتاب القاهرة ١٩٧٩،ص٣٠.

للسلطان عشرة آلاف دينار ويبدو أن العادة جرت فى زمن هذا السلطان بالجمع بين اكثر من وظيفة طالما ان متوليها قد استطاع أن يلبى طلبات السلطان عن طريق البذل والبرطلة.[٦٧]

وطوال ذلك العصر واجهت البلاد الوباء والمجاعات، ففي سنة (٨٢٠هـ / ١٤١٧م) أمتد الوباء إلي المناطق الغربية بمصر فانتشر في مدينة الإسكندرية ودمياط وفي سنة (٨٢٢هـ / ١٤١٩م) انتشر الطاعون في أنحاء البلاد ثم امتد إلي الشرق والغرب. وفي سنة (٨٣١هـ / ١٣٢٧م) شمل الوباء أغلب مناطق الوجه البحري وقضى على أسماك الأنهار والبحيرات [٦٨].

د-الاحوال الثقافية

أصبحت مصر منذ عصر سلاطين المماليك حاملة لمشعل الثقافة العربية ، بعد أفول مراكزها فى الشرق ولاسيما بغداد نتيجة للغزو المغولى وفى الأندلس مثل قرطبة حيث أصبحت مصر مقصد العلماء المسلمين من كل مكان يأتونها ليجدوا فى رحابها الانفتاح الثقافى ،ثم أن وجود الخلافة فى مصر كان سببا آخر فى ازدهار الثقافة فيها [٦٩]

وكان سلاطين المماليك الاوائل قد أهتموا بمصالح الرعية ،ووطدوا دعائم الامن الداخلى،فازدهرت التجارة الداخلية والخارجية وقامت علاقات أقتصادية مع دول اوربا المطلة على البحر المتوسط وخاصة دويلات إيطاليا كالبندقية وجنوا ،هذا إلى جانب نفوذ المماليك القوى فى اليمن والحبشة ،حيث ساعد هذا الجو العام على توفير المناخ المناسب لأزدهار النشاط الحضارى بوجة عام والعلمى بوجة خاص[٧٠]كما أن جو الرخاء العام والأمن ووهج سنة الجهاد والتى أحياها سلاطين المماليك ،وتقاطر علماء المسلمين من الشرق والغرب إلى القاهرة حيث الثروة والحياة الرغدة وفرص التدريس فى مدارسها العديدة ذات الأوقاف السخية و المكتبات الزاخرة بالاف المخطوطات ، بالإضافة إلى الإحساس بالحماية والأمن فى ظل سلطة المماليك بعيدا عن عبث الصليبين الذين لجأوا إلى قبرص ورودس ، وبعيدا عن تتار العراق وفارس[٧١].وعن ذلك يقول المؤرخ السيوطى(ت ٩٠٢/١٤٩٦م) **"ان الايمان والعلم يكونان مع الخلافة اينما كانت ، حيث صارت مصر دارا للخلافة عظم امرها وكثرت شعائر الاسلام فيها وصارت فيها كل مساكن العلماء ومحط الرجال الفضلاء)**[٧٢]

وعند الحديث عن الأحوال الثقافية لابد ان نتعرض للتعليم فى عصر المماليك ،ولا نجد سياسة معينة ثابتة حرص السلاطين على تنفيذها فالمماليك أنفسهم كانوا يربون تربية خاصة

([٦٧]) احمد عبد الرازق ، البذل والبرطلة ، ص٣٤.

([٦٨]) قاسم، عصر سلاطين المماليك، ص٣٥٦.

([٦٩])عبد المنعم ماجد ، التاريخ السياسى لدولة سلاطين المماليك فى مصر، مكتبة الانجلو المصرية ،القاهرة ١٩٨٨،ص٣٠٢.

([٧٠])ابن تغرى بردى ،النجوم الزاهرة ،ج١ ،تحقيق: محمد حسين شمس الدين، مقدمة المحقق ، ص٦.

([٧١])ابن تغرى بردى ،النجوم الزاهرة ،ج١، تحقيق: محمد حسين شمس الدين،.مقدمة المحقق ، ص٦.

[٧٢])السيوطى ،حسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة ،ج٢، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٩٧، ص٢٢٤.

حيث يتعلمون القراءة والكتابة فضلاً عن القرآن ومبادىء الحديث والفقة وبعد هذه المرحلة ينتقلون عند سن البلوغ الى التدريب على أعمال الفروسية واستخدام السلاح والمقاتلة ، أما عامة الناس من غير المماليك فكان أمامهم المكاتب ليتعلم فيها الصغار والأحداث ثم المدارس وهى أشبة شيء بالمعاهد العالية ليتم فيها الكبار دراستهم[٧٣]

مراكز العلم فى العصر المملوكى

تتمثل مراكز العلم فى العصر المملوكى فى ثلاثة مراكز: الخوانق ،المساجد،المدارس[٧٤] .

الخانقاة : كلمة فارسية معناها بيت العبادة وهى بيوتا يشيدها الأمراء والسلاطين ليقيم فيها اهل التصوف ليلا ونهارا متفرغين إلى عبادة الله وكانت عبارة عن معاهد ثقافية يدرس فيها العلوم الفقهية ، وكان ابتداء حدوث الخوانق فى الإسلام حوالى سنة ٤٠٠هـ/١٠٠٩م[٧٥]

المساجد او الجوامع: الجامع هو المسجد الكبير فى المدينة وتقام فية صلاة الجمعة ومن أمثلة الجوامع ، الجامع الأزهر وجامع عمرو بن العاص وابن طولون[٧٦]

ويعتبر القرن (التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادى) عصر الأزهر الذهبى ، سواء من حيث مكانتة العلمية أو إنتاجة الفكرى ؛ذلك أنة لم يجتمع فى عصر سابق من تاريخ مصر الاسلامية جمهرة من العلماء الأعلام فى كل علم وفن ، وقد أبدى السلاطين فى العصر المملوكى الجركسى تحديدا عناية خاصة برعاية الازهر وتقدير مهمتة العلمية ومكانتة الفذة فى العالم الإسلامى وشاطرهم الأمراء والكبراء فى هذه الرعاية ،فكانت الهبات تتوالى على الجامع وكان من أشدهم حماسة السلطان الأشرف قايتباى[٧٧].

المدارس : وكان يبنيها السلاطين والأمراء المماليك والتجار وحتى النساء وليس فقط فى القاهرة ولكن فى كل مدينة مصرية، حتى فى أقصى الصعيد فى قوص أو فى شمال مصر فى الاسكندرية التى أصبح جامع العطارين فيها يطاول الأزهر فى القاهرة ، و كانت تخصص لهذة

([٧٣])عبد الوهاب حموده ، صفحات من تاريخ مصر ، ص٤٠

([٧٤]) كان هناك هدفاً مشتركاً بين أنشاء المسجد وأنشاء المدرسة ، وهو هدف يتمثل فى التطلع الى حسن الاجر والثواب ، فقد تشابهت المهام والوظائف بين المسجد والمدرسة بمعنى أن المسجد صار مكاناً للعبادة والدرس فى حين صارت المدرسة مكاناً للدرس والعبادة ، وهكذا وجد مايمكن أن نطلق عليه أسم (الجامع المدرسة) او ٠المدرسة الجامع) ، أنظر سعيد عاشور ، تاريخ المدارس فى مصر الاسلامية ، مقال من سلسلة تاريخ المصريين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٩٢، ص٢٧.

([٧٥]) نعمان الطيب سليم ، الخوانق ، مقال من مجلة كلية اللغة العربية ، جامعة الازهر ، العدد السابع ، القاهرة ١٩٨٩،ص٤١٤.

([٧٦]) عبد الوهاب حموده ، صفحات من تاريخ مصر ، ص٧١.

([٧٧]) انظر القلقشندى ،صبح الاعشى ،ج١١،ص٢٥١؛عبد الوهاب حموده ، صفحات من تاريخ مصر ، ص٨٦.

المدارس هيئة للتدريس منها الشيخ والاستاذ والمدرس والمعيد [٧٨] ، ويقول المؤرخ القلقشندى " **ان وظيفة التدريس فى عهد المماليك جليلة القدر ،حيث يخلع السلطان على صاحبها فى كثير من الأحيان ويكتب له التوقيع الذهبى يصدر عن ديوان الانشاء ، بل كانت بعض الاحتفالات تستمر أسبوعا لإجلاس مدرس فى أحد أفرع الدراسة وكل من ينجح من الطلبة ينال الاجازة** "[٧٩] وهناك المدرسة الجمالية وهى من أشهر مدارس عصر الجراكسة وهى التى بناها الأمير جمال الدين محمود الإستادار[٨٠] زمن السلطان فرج وتم بناءها عام (٨١١هـ/ ١٤٠٨م)[٨١] وتحدثنا المصادر عن اهتمامه بالمدرسة حيث خصص لكل طالب فى اليوم ثلاثة أرطال من الخبز وثلاثين فلسا فى الشهر ،اما راتب المدرس فكان ٣٠٠ درهم فى الشهر ومن المدارس التى انشئت فى عهد الجراكسة ثلاث مدارس أقامها السلطان برسباى احداها بسرياقوس والاخرى بالقاهرة والمعروفة بالاشرفية (بشارع المعز) والثالثة بالصحراء خارج القاهرة .كذلك انشأ السلطان إينال[٨٢] مدرسة بالصحراء عام (٨٦٠هـ/ ١٤٥٥م) وقد حوت كل هذة المدارس على خزائن كتب[٨٣].

ومن الطبيعى أن يحظى علم التاريخ بمكانة مرموقة وسط ذلك النشاط العلمى المزدهر ،وذلك لأن عصر سلاطين المماليك كان عصرا نشيطا حافلا بأحداثه الخارجية والداخلية ،غنيا برجالة وأبطاله ؛ وهذا وذاك من الأحداث وسير الأبطال كان فى حاجة إلى تسجيل .وخاصة الانتصارات وهجمات الأعداء[٨٤].

ونُلاحظ تطور مفهوم علم التاريخ فى تلك الفترة فهو لم يعد عبارة عن العلم الذى يستوعب الحوادث او يسردها فقط ،وانما أصبح العلم الذى يفسرها على اسس علمية مما أوجد

([٧٨])عبد المنعم ماجد ، التاريخ السياسى ، ص٣٩.

([٧٩])القلقشندى ، صبح الاعشى ، ج١١، ص٢٥١.

([٨٠])الاستادار: وهو الذي يتحدث في الامور الخاصة ببيوت السلطان من المطابخ والشرابخاناة والحاشية والغلمان وهو الذي يمشي بطلب السلطان ويحكم غلمانه وباب داره وله كامل التصرف في استدعاء ما يحتاجه بيت السلطان من نفقات وكساوى وما يجري مجرى ذلك للمماليك وغيرهم ،القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٢٠.

([٨١])المقريزى ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار،ج٢، تحقيق: محمد حسين شمس الدين ، دار صادر بيروت د.ت،ص٣٩٥.

([٨٢])الأشرف اينال: العلائي الظاهري أبو النصر، ولي السلطنة يوم الاثنين الرابع من ربيع الأول من سنة (٨٥٧هـ/ ١٤٥٣م) وتوفي منتصف جمادي الاولى من سنة (٨٦٥هـ/ ١٤٦٠م) ، أنظرجلال الدين السيوطي ، نظم العقيان في أعيان الأعيان، حرره فيليب حتي، المطبعة السورية الامريكية، الولايات المتحدة، نيويورك١٩٢٧م، ص ٩٣.

([٨٣]) عبد الوهاب حموده ، صفحات من تاريخ مصر ، ص١٠٢.

([٨٤])سعيد عاشور ، مكانة ابن تغرى بردى بين مؤرخى مصر فى القرن التاسع الهجرى ، بحث من ندوة المؤرخ ابن تغرى بردى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٤،ص ٨٩.

نظريات للتفسير التاريخى أشهرها نظرية ابن خلدون (٧٣٣-٧٨٤هـ/١٣٣٢-١٣٨٢م) وبذلك برز دور المؤرخ أكبر مما كان علية من قبل[٨٥] .

كما أن القرن التاسع الهجرى /الخامس عشر الميلادى يعتبر عصراً ذهبيا لتدوين تاريخ مصر القومى ؛ ففية ازدهرت الرواية التاريخية، وأسبغت على تاريخ مصر الاسلامية قوة وحياة وبهاء لم يعرفها من قبل وسلكت فى البحث مناهج جديدة ، وعنيت بتعريف جوانب من المجتمع وأطواره وعواطفه ، عناية لم تبدها من قبل ، وأشربت روحا جديدة من النقد وأمتازت بالتوسع والافاضة والغزارة . بيد ان اهم ما تمتاز به هذة المدرسة هو مصريتها الواضحة ؛ فأن أقطابها جميعا مصريون ولدوا وعاشوا فى مصر . وقد خلفت أجل آثارها عن تاريخ مصر وشعبها ونيلها وخططها . وهو أثر من آثار النزعة القومية التى كانت قد غلبت يومئذ على التفكير المصرى ، خاصة بعد أن عفت رياسة غرناطة . ولكن مصر كانت تطبع التفكير والآداب الإسلامية يومئذ بطابعها الخاص وأشد مايبدو هذا اللون المصرى فى جهود الرسالة التاريخية التى أفتتحت بالمقريزى وأختتمت بابن اياس [٨٦]

ولعل هذا التفكير طغى على ابن تغري بردي حينما خصص موسوعته (النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة) للحديث عن مصر وتاريخها وتتابع حكامها.

وهكذا نشطت كتابة التاريخ فى عصر سلاطين المماليك وظهرت مجموعة كبيرة من المؤرخين ، منهم أصحاب السير مثل : ابن عبد الظاهر(ت ٦٩٢هـ/١٢٩٣م) وكتابه(تشريف الأيام والعصور فى سيرة الملك المنصور)، وابن سيد الناس (ت٧٣٤هـ/١٣٣٤م)الذى كتب فى السير وله كتاب (عيون الأثر فى المغازى والسير)، ومنهم من كتبوا فى الطبقات مثل ابن خلكان (ت ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م) وله كتاب(وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان) وابن حجر العسقلانى (ت٨٥٢هـ/١٤٤٨م) صاحب (انباء الغمر بابناء العمر) ، وهناك السخاوى (ت ٩٠٢هـ/ ١٤٩٧م) صاحب كتاب (الضوء اللامع لأهل القرن التاسع)، وهناك فريق اخر من مؤرخى ذلك العصر اختاروا ان يؤلفوا كتبا عن بلد بعينة او دولة بذاتها مثل جمال الدين ابن واصل (ت ٦٩٧هـ/ ١٢٩٨م) وله كتاب (مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب) وابن دقماق المصرى (ت ٨٠٩هـ/ ١٤٠٦م) صاحب (الانتصار لواسطة عقد الامصار) وتقى الدين احمد بن على المقريزى(ت ٨٤٥هـ /١٤٤١م) صاحب كتاب (المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار) ومؤرخنا ابن تغري بردي (ت٨٧٤هـ/١٤٧٠م)[٨٧].

وهناك العديد ايضا من المؤرخين مثل بدر الدين العينى (ت٨٥٥هـ/ ١٤٥١م) وألف بالعربية (عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان) كما خصص كتبا لتناول سيرة سلطان بعينه مثل (السيف المهند فى سيرة الملك المؤيد) وكتاب (الروض الظاهر فى سيرة الملك الظاهر ططر

([٨٥])عبد المنعم ماجد ، التاريخ السياسى ، ص ٣٠٦.

([٨٦])محمد عبدالله عنان ، مؤرخو مصر الاسلامية ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٦٦، ص١١٤.

([٨٧])سعيد عاشور، مكانة ابن تغرى بردى، ص٩٠؛ عبد الرحمن ذكى ، تراث القاهرة ، ص٨٦.

)وابـن شـاهين الظـاهرى (ت ٨٧٢ه/١٤٦٨م) فـى كتابـه (زبـدة كشـف الممالـك وبيـان الطـرق والمسالك)[٨٨]

ولم يقل الأمراء فى تحصيلهم للعلم عن السلاطين بل ربما فاقوهم [٨٩] ، حتـى أن أسماء بعض الأمراء أقترنـت بلقب "محدث" أو "فقيه" ولاغرابـة فـى هذا فقد كـان المملوك يتلقـى فـى الطباق العلوم الشرعية الى جانب العلوم العسكرية [٩٠].

وليس هناك دليل على أنتشار اللغة العربية من أن مؤرخنا ابن تغري بردي – قد برز فى ميدان الفكر العربى ليكتب شعرا بالعربية ويؤلف مصنفات تاريخية ممتازة بالعربية[٩١]

ولايمكننا مغادرة أسباب تلك النهضـة الثقافيـة فـى مصـر وازدهـار الكتابـة التاريخيـة فيهـا دون الاشارة الى الأثر الكبير الذى تركه ابن خلدون فى ميدان التاريخ من خـلال مقدمتـه الشـهيرة التى ضمنها آراءه ونظرياته بما تنطوى عليه من نظرة علمية للتاريخ تستقصى حركته من خـلال تفاعل العوامل السياسية والاقتصـادية والاجتماعيـة . بل النفسية أيضـا وبذلك وضـع ابن خلـدون الأسس المنهجية العلمية للتاريخ كعلم وجعل ذلك مرتبطاً ارتباطاً مباشراً بمـا سمى فيمـا بعد لعلم الاجتمـاع[٩٢]؛ فالفضـل يعـزى إلـى ابـن خلـدون فـى تنظـيم منظـور شـامل للتـاريخ قوامـة دراسـة العمران البشرى . وكان أثر ابن خلدون واضـحا علـى المدرسـة المصـرية فـى العصـر المملوكى وحسبنا وجود مؤرخين فـى هذا العصـر يتخصصـون فـى دراسـة التـاريخ كعلم او بـالأحرى فـى فلسفة التـاريخ مـن أمثـال السـخاوى والكـافيجى[٩٣] ؛ حيـث أفـردوا أسفارا عـن التعريـف بالتـاريخ وتحديد أغراضه وغاياته وخصائصة وفوائده ومناهج بحثه[٩٤]

لم ترث المدرسـة المصـرية المملوكيـة مزايـا ابـن خلـدون والتـى منهـا الاهتمـام بالكليـات والتركيز علـى التفسير والتحليل وتتبـع مسـار الحركـة التاريخيـة وأغلـب الظـن أنهـا أخطـأت فهم آرائه ، اذ فسرت دعوته إلى دراسة كافة جوانب العمران البشرى تفسيرا خاطئا ، فانبرى مؤرخو

([٨٨])عبد المنعم ماجد ، التاريخ السياسى ،ص٣٩.

([٨٩])لين بول ، سيرة القاهرة ، ترجمة :حسن ابراهيم حسن وآخرون ،القاهرة ١٩٥١،ص١٩.

([٩٠]) على سالم النباهين ، نظام التربية الاسلامية فى عصر دولة المماليك فى مصر ، القاهرة ١٩٨١، ص١٥٥.

([٩١])سعيد عاشور، مكانة ابن تغرى بردى ، ص٩٢.

([٩٢])محمود اسماعيل ، منهج المؤرخ ابن تغرى بردى ، فى كتابة النجوم الزاهرة ، بحث من ندوة المؤرخ ابن تغرى بردى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ص١٠٩.

([٩٣]) هو محمد بن سليمان بن سعد الرومى الحنفى ابو عبدالله الكافيجى كان من كبار العلماء بالمعقولات وعُرف بالكافيجى لكثرة أشتغاله بالكافية فى النحو، توفى سنة ٨٧٩ه/١٤٧٤م، انظر الزركلى ، الاعلام ،ج٦، ص١٥٠.

([٩٤])محمود اسماعيل ،منهج المورخ ، ص١١٠-١١١.

هذا العصر يصنفون فى كافة جوانب المعرفة ، ويكرسون فى موسوعات عامة او رسائل خاصة ركاما من المعلومات لاتربطها صلة ولا تجمعها نظرة او وحدة موضوعية[٩٥]

تلك إذن المؤثرات العامة التى تركت بصماتها على منهج ابن تغري بردي وأقرانه، أما المؤثرات المباشرة عليه وعلى المدرسة المصرية فتتمثل فى معطيات البيئة المصرية أو بالأحرى فى النزعة المحلية التى غمرت العالم الإسلامى فى جوانبه السياسية والثقافية ويرى الدكتور محمود اسماعيل ان ظهور التواريخ المحلية واكب نزعة الاستقلال السياسى فكما أدى اتساع الدولة الاسلامية وترامى حدودها إلى ظهور اللامركزية ، أدى تضخم الأخبار ووفرتها وتشعبها وتنوعها إلى ظهور التواريخ المتخصصة والمحلية ، وفى مصر ظهر مؤرخون مصريون منذ وقت مبكر يهتمون باخبارها ، وينوهون بفضائلها ويصفون خططها ويعنون بسير ولاتها وقضائها ، ويدونون ذلك فى تصانيف ذات طابع مصرى واضح ، وفى هذا المجال تبرز أسماء : ابن عبد الحكم وابن زولاق والكندى وغيرهم . هذة النزعة المصرية اتخذت شكلا جديدا فى العصر المملوكى، قوامه استمرار العناية بالتاريخ المحلى مع عدم إغفال أخبار العالم الاسلامى ، ولذلك تفسيره ومغزاه ؛ فدولة المماليك لم تكن دولة مصرية فحسب ، بل امتد نفوذها على الشام والحجاز واليمن [٩٦].

٢ـ المولد والنشأة:

أشار أحمد بن حسين التركماني تلميذ ابن تغري بردي في مقدمته لكتاب النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة قائلاً :" **هو يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الأمير جمال الدين أبو المحاسن بن الأمير الكبير سيف الدين تغري بردي البشبغاوى الظاهري أتابك العساكر بالديار المصرية، ثم كافل المملكة الشامية. سألته عن مولده فقال: "مولدي بالقاهرة بدار الأمير منجك اليوسفي بجوار مدرسة السلطان حسن، في حدود سنة أثنتى عشرة وثمانمائة تقريباً"** [٩٧]. **قلت وتوفي والده الأمير الكبير تغري بردي المذكور بدمشق على نيابتها في محرم سنة خمس عشرة وثمانمائة"** [٩٨].

([٩٥])محمود اسماعيل ، منهج المؤرخ ابن تغري بردي ، ص١١١.

([٩٦]) منهج المؤرخ ابن تغري بردي ، ص ١١٢.

([٩٧]) أشار "ابن تغرى بدرى" في كل من(المنهل الصافى والنجوم الزاهرة) إلي أن مولده كان بعد سنة أحدى عشرة وثمانمائة – تخميناً – مما يشير إلي عدم تحققه من ذلك وعلى وجه صائب، انظر المنهل الصافي، ج١٤، تحقيق : محمد محمد امين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٦م، ص٣١، ٤٣، والنجوم الزاهرة، ج١٣، تحقيق: محمد حسين شمس الدين ، ص٢٦٣ ، بينما يعزو إليه تلميذه "المرجي" في ترجمته له مذيلاً على نسخته من المنهل الصافي أنه ولد في حدود السنة التي = تليها قائلاً: ".... سألته عن مولده، فقال: "مولدي بالقاهرة... في حدود سنة أثنتى عشرة وثمانمائة تقريباً في حين أشار ابن الصيرفي في أنباء الهصر ص١٧٥ أن مولده (في العشر الأخير من شوال سنة ٨١٣هـ).

([٩٨]) ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج١، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، مقدمة المحقق ، ص١٠.

أما والده فيقول عنه ابن تغرى بردى في ترجمة له :"**صاحب الترجمة - رحمه الله - هو والدي، كان رومي الجنس اشتراه الملك الظاهر برقوق في أوائل سلطنته تقريباً وأعتقه وجعله في يوم عتقه خاصكياً**[٩٩] **ثم صار ساقياً، وأنعم عليه بحصة من شبين القصر**[١٠٠] **ثم جعله رأس نوبةالجمداريـة**[١٠١]**"**[١٠٢]ويبدو أن "تغري بردي" – ومعناه "عطية الله" [١٠٣] – كان حظياً عند مخدومه

؛لذا جعله "برقوق" في عدة وظائف أخرى هي "أمير سلاح" [١٠٤] وفي سلطنة ابنه "الناصر فرج" صار تغري بردي "أتابكاً" [١٠٥] للعساكر بالديار المصرية[١٠٦].

توفي والد ابن تغري بردي سنة (٨١٥ هـ / ١٤١٢م) وعمره وقتها ثلاث سنوات، فتولى تربيته قاضي القضاة ناصر الدين بن العديم الحنفي[١٠٧] وهو زوج أخته الثانية هاجر ثم توفي ابن العديم سنة (٨١٩هـ / ١٤١٦م) فتزوجت هاجر من قاضي القضاة جلال الدين البلقيني الشافعي[١٠٨] فأكمل البلقيني تربيته إلي أن كبر وترعرع . والي البلقينى يرجع الفضل في تنشئة

([٩٩]) الخاصكية: هم الذين يلازمون السلطان في خلواته، ويستوفون المحمل، ويتعينون بكوامل الكفال، ويتجهزون في المهمات، للمزيد أنظر ابن شاهين، زبدة كشف المماليك، ص١١٥.

([١٠٠]) شبين القصر: هي شبين القناطر، احد مراكز محافظة القليوبية بالوجه البحري بمصر، للمزيد أنظر القاموس الجغرافي، ج١، ق٢، ص٣٥ – ٣٦.

([١٠١]) الجمدار: لفظ فارسي مركب بمعنى ممسك الثوب وهو الأمير الذين يتصدى لألباس السلطان. للمزيد أنظر القلقشندي، صبح الأعشى، ج٢، ص٤٥٩.

([١٠٢]) ابن تغرى بردى، المنهل الصافي، ج٤، ص٣٤.

([١٠٣]) تحريف التسمية التركية "تنكرى بردى" أو "Tengri – Verdi" للمزيد انظر البغدادي، هدية العارفين، ج٢، ص٥٦ ؛ مصطفى الشكعة ، مناهج التأليف عند العلماء العرب، دار العلم للملايين ،بيروت ١٩٧٣م، ص ٦٢٧.

([١٠٤]) أمير سلاح: وظيفة عسكرية كبرى في دولة سلاطين المماليك، لا يشغلها إلا أمير مائة، وهو أمير السلحدارية، للمزيد أنظر المقريزي، الخطط، ج٢، ص٢٢٢.

([١٠٥]) الأتابك (الأطابك): لفظ يتألف من شقين هما (أطا) بمعنى أب و (بك) بمعنى أمير وهو لقب فخري، أطلقه السلاجقة على كبير أمرائهم ثم أصبح يعني القائد العام.للمزيد انظر: حسن الباشا ، الألقاب ،ص١٢٢.

([١٠٦]) محمد مصطفى زيادة، المؤرخون في مصر ، القاهرة ١٩٥٤م ، ص٢٧.

([١٠٧])محمد ابن العديم: ناصر الدين محمد بن عمر بن العديم ولد سنة(٧٩٢هـ/ ١٣٨٩م) بحلب كان من بيت كبير معروف بالفضل والرئاسة والوجاهة والتقدم والقضاء، وتفقه على يد العديد من مشايخ حلب ثم رحل الى القاهرة، ولي القضاء ولكن سيرته لم تكن جيدة، اصيب بقولنج صفراوي سنة (٨١٩هـ/١٤١٦م) توفي على أثره ، انظر السخاوي ، الذيل على رفع الأصر ، تحقيق جودة هلال ومحمد محمود صبيح، مراجعة علي البجاوي، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، القاهرة، د ت، ص ٣٠٣.

([١٠٨])عبد الرحمن البلقيني: ولد سنة (٧٦٣هـ/١٣٦١م) بالقاهرة ونشأ بها وتعلم على يد والده سراج الدين كان عارفاً بالفقه، فصيحاً بليغاً، له تصانيف عدة، ابتلى بحب القضاء فتولاه مرتين، توفي سنة (٨٢٤هـ/ ١٤٢١م) ويقال انه مات مسموماً دفن بالقاهرة ، انظر شمس الدين الداودي، (ت ٩٤٥هـ/ ١٥٧٨م)، طبقات المفسرين، ج١، تحقيق علي محمد عمر، مكتبة وهبة ، القاهرة، د ت، ص ٢٧٦.

أبي المحاسن نشأة دينية ثم توفي البلقيني سنة (٨٢٤هـ / ١٤٢١م) فصار أبو المحاسن تحت كنف جماعة من أكابر مماليك أبيه فتعهدوه من رعاية وعيش وتعليم مدني وحربي [١٠٩].

ولعل نشأة ابن تغري بردي بعد وفاة أبيه في حجر شقيقته (هاجر) يشير إلي افتقاده لأمه في هذا السن المبكر، وكان ابن تغري بردي قد أتم حفظ القرآن وتجويده عند (الجلال البلقيني) كما حضر عنده في الحديث النبوي ويبدو أن وفاة (الجلال البلقيني) كانت سبباً في انتقال مؤرخنا من لون من المعرفة إلي لون آخر، ومن المعرفة الدينية إلي فنون الفروسية [١١٠].وكان والده قد ترك عند وفاته عشرة اولاد منهم ستة ذكور وأربع إناث[١١١]

وهكذا كبر ابن تغري بردي وهو ينتمي إلي طبقتي أهل السيف وأهل العمائم في آن، وأتقن العربية بجانب التركية وبرع في الفروسية براعته في الضرب والإيقاع والنغم وعرف الفقه وقرض الشعر، كما أستطاع الإطلاع على معلومات وأخبار عصره نتيجة صلاته الواسعة مع البلاط السلطاني [١١٢]. وقد انعكس كل ذلك على كتاباته فجاءت تتسم بالدقة بسبب اقترابه من كبار الأمراء وصانعي السياسة.

٣- أساتذته وشيوخه

قُدر للمؤرخ أبي المحاسن يوسف أن يشب منذ نعومة أظفاره في بيت علم ودين، وأن يسهر على تربيته وينهض بتنشئته إثنان من أكابر فقهاء عصره وأوسعهم علماً وأكثرهم جاهاً وصيتاً، فدرس أصول النحو والبلاغة والفقه والحديث وغيرها من العلوم وإجازة عدد كبير من مشايخ علماء عصره، حتى استولى علم التاريخ على حواسه، ولازم **بدر الدين العيني** حينا **وأحمد بن علي المقريزي** أحياناً. وبذلك تأصلت فيه الحماسة التاريخية [١١٣].

([١٠٩]) أحمد دراج، نشأة أبو المحاسن، ص٦٣؛ محمد مصطفى زيادة، المؤرخون، ص٢٧.

([١١٠]) محمد كمال، الحركة العلمية فى مصر فى عصر المماليك الجراكسة ، المجلد الثالث، رسالة دكتوراة منشورة بكلية البنات جامعة عين شمس ، القاهرة ١٩٨٩.، ص١٤٨؛ محمد عبد الله عنان، مؤرخو مصر الإسلامية ومصادر التاريخ الإسلامي، القاهرة، ١٩٦٩م ، ص١١٥.

([١١١]) لم يكن من بين هؤلاء شقيق إلا أخته هاجر التي كانت شقيقته، وكان لرباط النسب الذي يربط تغري بردي والناصر فرج من برقوق سبباً في حصوله على مكانة مميزة في المجتمع المملوكي فقد كانت شيرين بنت عبد الله بنت عم تغري بردي إحدى زوجات الظاهر برقوق وأم ابنه الناصر فرج، ولهذا سمح الظاهر برقوق لتغري بردي من الزواج من إحدى مطلقاته، اضافة الى قيام السلطان الناصر فرج سنة (٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م) بالزواج من فاطمة إحدى بنات تغري بردي، إضافة إلى الصلة التي كانت تربط بين ابن تغري بردي والظاهر جقمق حيث أن ابنه محمد بن جقمق كان متزوجاً من ابنة اخت ابن تغري بردي هذا فضلا عن زواج أخواته من بعض الأمراء ممن لهم تأثير ونفوذ في الدولة أمثال اقبغا التمرازي وخليل بن الناصر فرج بن برقوق ويشبك من ازدمر الظاهري نائب حلب ، أحمد دراج ، نشأة أبو المحاسن ،ص٦٢.

([١١٢]) شاكر مصطفى ، التاريخ العربي والمؤرخون، ج٣ ، بيروت ١٩٩٠م ، ص١٧١.

([١١٣]) ابن تغرى بردى، المنهل الصافي، ج١، ص٦ – ٧، مقدمة المحقق.

وكان ابن تغري بردي مهتماً بالإلمام بمختلف العلوم، وهو ما يفسر حفظه بعض المختصرات في علوم عصره، كمختصر القدوري[١١٤] في الفقه، وألفية ابن مالك في النحو، وأيساغوجي[١١٥] في المنطق[١١٦]. ومهما يكن من الأمر فإن "ابن تغري بردي" كان حريصاً على الجمع بين الثقافات: الدينية والأدبية والعسكرية.

تتلمذ ابن تغري بردي على طائفة لا بأس بها من الشيوخ والأساتيذ فنجد أنه :" **لما كبر اشتغل بفقه الحنفية وحفظ القدوري وتفقة بشمس الدين محمد الرومي وبالعيني وأخذ النحو عن التقى الشمنى ولازمة كثيراً وتفقه به وأخذ التصريف عن الشيخ علاء الدين الرومي وغيره، وقرأ المقامات الحريرية على قوام الدين الحنفي وأخذ عنه العربية وقطعة جيدة من علم الهيئة وأخذ البديع والأدبيات عن الشهاب بن عربشاه الحنفي وغيره، وحضر على ابن حجر العسقلاني**" [١١٧] ويبدو أن حضور "ابن تغري بردي" مجالس "الأشرف برسباى" حيث منادمة "البدر العيني" له في التاريخ، وصحبته "التقي المقريزي" كانا العامل الرئيسي في اتجاهه نحو التاريخ: قراءة وتحصيلاً وتأليفاً[١١٨]. وعن البدر العيني يشير ابن تغري بردي في المنهل الصافي بقوله :" **أنه أعجوبة في التاريخ**" [١١٩]. بينما يشير في النجوم الزاهرة إلي أن "**كان مجلسى مع الأشرف برسباى لا ينقضي إلا في قراءة التاريخ وأيام الناس**" [١٢٠]. وقد انعكس ذلك على ابن تغري بردي ومن يوم ذلك حبب إليه التاريخ ومال إليه واشتغل به. أما المقريزي (٧٦٦ – ٨٤٥هـ / ١٣٦٤ – ١٤٤١م) فقد ورد بصدده في النجوم الزاهرة "**أنه أعظم من أدركت في علم التاريخ وضروبه**"[١٢١]. ويوضح ابن تغري بردي مدى احترامه لشيوخه

([١١٤])القدوري: هو احمد بن محمد بن احمد بن جعفر بن حمدان الأمام المشهور أبو الحسن بن أبي بكر الفقيه البغدادي المعروف بالقدوري، صاحب المختصر المبارك كانت ولادته سنة ٣٦٢هـ/ ٩٧٢م انتهت اليه رئاسة أصحاب أبو حنيفة بالعراق وألف كتاباً مختصراً في الفقه الحنفي عرف بالقدوري نسبة له، كانت وفاته سنة ٤٢٨هـ/ ١٠٣٦م ،انظر محي الدين القرشي الجواهر المضية في طبقات الحنفية، ج١، مطابع دائرة المعارف العثمانية، حيدر اباد، الهند-الدكن ١٩١٣م ، ص ٩٣.

([١١٥])ايساغوجي: لفظ يوناني معناه الكليات الخمس وهي الجنس والنوع والفصل والخاصة والعرض العام وهو أحد أبواب المنطق التسعة ،انظر حاجي خليفة كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ج١، ط٣، المكتبة الأسلامية ، طهران ١٩٤٧م، ص ٢٠٦.

([١١٦]) السخاوي، الضوء اللامع، ج١٠، ص٣٠٥؛ محمد كمال، الحركة العلمية، المجلد الثالث، ص١٤٩.

([١١٧]) ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب ، ج٧ ، ص٣١٧.

([١١٨]) محمد كمال، الحركة العلمية، المجلد الثالث، ص١٥١.

([١١٩]) ابن تغرى بردى، المنهل الصافي، ج٣، ص٢٣٢.

([١٢٠]) ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج١٥، تحقيق: ابراهيم على طرخان ، ص١١١؛ محمد كمال ، الحركة العلمية ، ج٣ ، ص١٥١.

([١٢١]) ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج١٥، تحقيق: ابراهيم على طرخان ، ص٤٩١.

قائلاً **" والله العظيم، إنني كنت إذا دخل على الفقيه الذي أقرأني القرآن في صغري – على أن بضاعته من العلم كانت مزجاة – استي أن أتكلم بين يديه بفضيلة أو علم من العلوم"** [١٢٢].

فى هذا الوسط الهادىء تفتحت مواهب أبى المحاسن ، ودرج قلمة واينع بحثه وكما أن القاهرة وخططها وآثارها المجيدة ، ومجتمعاتها الزاهرة ،شغفت أستاذه المقريزى حبا، وكانت اخصب ميدان لروايته ؛ فكذلك كانت سيرة مصر ونيلها أحب غذاء لنشاطه وألذ مادة لتأملاته[١٢٣].

٤- الانتماء الطبقي والمذهبى عند ابن تغري بردي:

أنتفع ابن تغري بردي في نشأته وحياته بأصهارة على أخواته وبناتهن – إيما انتفاع – إذ عن طريقهم توجهت ميوله، وتحددت أغراضه الفكرية واكتسب مهاراته وبعض صفاته مما انعكس على حياته، وبالتالي على كتاباته وبفضلهم ارتبط بأسباب العيش الرغد والجاه الوافر، وجرت عليه المرتبات [١٢٤]. وإذا أردنا تحديد الطبقة التي كان يعيش فيها ابن تغري بردي، فلنتتبع والده، حيث كان من رقيق الروم، اشتراه الملك الظاهر برقوق وسلمه إلي مؤدب خاص تولى تلقينه تعاليم الإسلام ومبادئ اللغة العربية، ثم تعلم فنون القتال ثم اعتقه استاذه برقوق وولاة عدة مناصب ثم ولاه نيابة حلب سنة (٧٩٦هـ / ١٣٩٣م) وتبدو مكانته عند برقوق حينما زوجه بأبنة السلطان الملك المنصور محمد بن السلطان الملك المظفر حاجي (٧٦٢ – ٧٦٤هـ / ١٣٦٠ – ١٣٦٢م) [١٢٥]. قال ابن تغري بردي **"واستولدها الوالد أولاد"** [١٢٦].

كذلك ولاة الناصر فرج بن برقوق نيابة الشام (٨٠٣هـ / ١٤٠٠م) بالإضافة لتوليه العديد من المناصب الهامة. وقد خلف الأمير تغري بردي – والد مؤرخنا – عشرة أولاد – ستة ذكور وأربعة بنات - كما ذكرنا - كانوا جميعاً غير أشقة – ما عدا واحدة كانت شقيقة المؤرخ هي هاجر التي كانت متزوجة من القاضي ابن العديم ثم بعد وفاته تزوجت قاضي القضاة البلقيني. وقد واصل أبو المحاسن بعد وفاة البلقيني الأقبال على الدراسات الدينية والأدبية [١٢٧].

أما اخته فاطمة فقد تزوجت بعد مقتل الناصر فرج الأمير أينال النوروزي[١٢٨] الذي تولى نيابة غزة وحماة ثم مات بالقاهرة سنة (٨٢٩هـ / ١٤٢٥م) وهو يشغل وظيفة أمير سلاح.

([١٢٢])ابن تغري بردى ، النجوم الزاهرة ، ج١٥، تحقيق : محمد حسين شمس الدين ، ص١٥٠,١٥١

([١٢٣])محمد عبدالله عنان، مؤرخو مصر الاسلامية ومصادر التاريخ المصرى ،القاهرة ١٩٦٩،ص١١٥، ١١٦.

([١٢٤]) محمد كمال، الحركة العملية، المجلد الثالث، ص١٥٣.

([١٢٥]) سعيد عاشور، مكانة ابن تغرى بردى، ص٩٣، ٩٤.

([١٢٦]) ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج٤، طبعة كاليفورنيا ، ص١٨٠؛ سعيد عاشور، مكانة ابن تغرى بردى، ص٩٤.

([١٢٧]) سعيد عاشور، مكانة ابن تغرى بردى، ص٩٤.

([١٢٨]) يقول عنه ابن تغرى بردى "وهو صهرى، زوج أختى خوند فاطمة ، ومات عنها"،أنظر ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج١٤، تحقيق: محمد حسين شمس الدين ، ص٣٠٦-٣٠٧.

وتزوجت أخته الصغرى (شقراء) الأمير أقبغا التمرازي[١٢٩] وكان قد تولى الأتابكية الكبرى في مصر، ثم نيابة دمشق وتوفي سنة (٨٤٣هـ / ١٤٣٩م) وقد أنجبت شقراء من الأمير أقبغا ابنة تزوجها فيما بعد الأمير محمد بن السلطان جقمق الذي كان مرشحاً للسلطنة بعد أبيه، وقد صارت صحبة بينه وبين ابن تغري بردي [١٣٠].

.وبذلك نجد أن ابن تغري بردي ينتمي إلي طبقتي أهل السيف وأهل العمائم في وقت معاً. على أن ابن تغري بردي كان من أكابر (أولاد الناس)؛ ومعنى ذلك بلغة العصر، أولاد الأمراء المماليك ، هكذا وفي هذا الوسط الهادئ تفتحت مواهب أبي المحاسن، ودرج قلمة، واينع بحثه. وكما أن القاهرة وخططها وآثارها المجيدة ومجتمعاتها الزاهرة، شغفت أستاذه المقريزي حباً، فكذلك كانت سيرة مصر ونيلها أحب غذاء لابن تغري بردي والذ مادة لتأملاته [١٣١].

أما بالنسبة لانتمائه المذهبى فلا يوجد دليل على تشيعه ، بل كان مسلما سنيا وظهر ذلك فى العديد من كتاباته وعداؤه للشيعة – الذين يسميهم الرافضة - يظهر بوضوح فى ترجمته لأعلامهم ، فنراة غالبا مايردد عبارات (فاسق ،....خبيث،.... رافضى ،..... فاسد العقيدة) واذا كان صاحب الترجمة ممن يشهد له بالفضيلة والعلم والنبوغ فانه ينهى ترجمته أحيانا بقوله: **"غير انه كان رافضيا خبيثا"** اما اذا كان صاحب الترجمة من المعروفين بعدائهم للشيعة ، وكان فى نفس الوقت سيء السيرة عديم الحسنات ، فإن أبا المحاسن لايتورع احيانا عن القول : **" غير أنه لو لم يكن له سوى هذة الفضيلة – أى العداء للشيعة – لكفى"**[١٣٢]

ونجده مثلا فى تأريخة لخلافة المستنصر بالله الفاطمى (٤٢٧ه- ٤٨٧ه/ ١٠٣٥م-١٠٩٤م) يقول: **" وفى دولتة كان الرفض فاشيا مجهرا، والسنه والإسلام غريبا، فسبحان الحليم الخبير الذى يفعل فى ملكة مايريد"** [١٣٣]

٥- وظائف ابن تغري بردي

لم يرث المؤرخ ابن تغري بردي عن أبيه اسماً ضخماً وصيتاً ذائعاً فحسب، بل ورث عنه أيضاً ثروة طائلة ضمنت له حياة آمنة مستقرة عكف فيها على التأليف والدرس دون أن يشغل فكره كثيراً بالدخول في منافسات وخصومات مع غيره جرياً وراء منصب، ولا عبره هنا بما ذكره ابن تغري بردي عن نفسه بأنه عاش فقيراً بعد وفاة أبيه ؛فيبدو أنه ذكرها لتدفع الحسد وليظهر بصورة الزاهد الفقيه[١٣٤].

لقد حج أبو المحاسن أربع مرات، وفي حجته الثانية عين "باش" ميمنة المحمل سنة (٨٤٩هـ / ١٤٤٥م)، وفي سنة (٨٥٧هـ / ١٤٥٣م) رشح ليكون أميراً للمحمل، أو معلماً

([١٢٩]) أنظر عنه ، ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج١٥، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، ص٢١٣-٢١٥.

([١٣٠]) أحمد دراج، نشأة أبو المحاسن، ص٦٣.

([١٣١]) محمد عبد الله عنان، مؤرخو مصر الإسلامية، ص١١٥ – ١١٦.

([١٣٢]) ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ،ج١ ، تحقيق : محمد حسين شمس الدين مقدمة المحقق ، ص ٢٨.

([١٣٣])ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج٥ ، تحقيق : محمد حسين شمس الدين، ص ٤.

([١٣٤]) سعيد عاشور، مكانة ابن تغرى بردى ، ص٨٩.

للمحمل،كما كان يحصل بوصفه أحد أولاد الناس على جامكية[١٣٥] وعلى نفقة من واللحم والخبز [١٣٦].

أما ابن الصيرفي فيوضح لنا مدى علاقة ابن تغري بردي بالسلاطين فيقول :" **كان يطلع إلي القلعة في أيام الملك الأشرف برسباى ويسوق المحمل والبرجاس** [١٣٧]**، وصار في أيام الملك الظاهر جقمق يطلع القلعة في كل جمعة مرة لإنشغاله بالعلوم، وفي أيام الأشرف إينال لم يطلع القلعة إلا في السنة مرة واحد أو مرتين وذلك عن حاجة ضرورية، وصحب في الدولة الظاهرية خشقدم الأمير جانبك القصير شادبندر جده، بل في دولة الأشرف إينال فحصل له منه غاية الملاه حتى أمره بالصعود في غالب الأيام إلي القلعة**" [١٣٨].

أما في عهد برسباى فقد أذن له السلطان برسباى بأن يخرج في صحبته للصيد والنزهة والسرحة، كما سافر في صحبته في حملته التي قام بها على آمد سنة(٨٣٦هـ/١٤٣٢م) ضد الأمير قرايلك وكان أبو المحاسن ممن توجه مع المماليك الذين أرسلهم برسباى لمفاوضة قرايلك. عندما تعذر عليه الاستيلاء على آمد [١٣٩]. وقد انعكس كل ذلك على ابن تغري بردي باعتباره شاهد عيان لهذه الحملة، ومن ثم سجل لنا وصفاً دقيقاً لها.

وكان لابن تغري بردي علاقات مع السلطان الظاهر جقمق[١٤٠] (٨٤٢هـ - ٨٥٧هـ/ ١٤٣٨م-١٤٥٣م) ومع ابنه، كما كان شديد الحرص على حضور المجلس الذي يعقده السلطان أسبوعياً في قصره لرجال العلم[١٤١]. وكانت له أيضاعلاقات مع السلطان الظاهر تمربغا[١٤٢]

([١٣٥])الجامكية: وتأتي بأسم الجوامك والجامكيات والجماكي وهي جمع جامكية وهي عبارة عن مرتبات الجند ومعناها الأصلي المال المخصص للملابس ، انظر رينهارت دوزي ، تكملة المعاجم العربية، ج٢، ترجمة محمد سليم النعيمي، دار الرشيد ، بغداد، ١٩٨١م، ص ١٢٧.

([١٣٦]) احمد دراج، نشأة أبو المحاسن، ص٦٦.

([١٣٧]) البرجاس: غرض في الهواء على رمح أو نحوه يرمى به ، للمزيد انظر ابن منظور ، لسان العرب ، ج١،ص٢٤٤.

([١٣٨]) ابن الصيرفي، أنباء العصر، ص١٧٨.

([١٣٩]) أحمد دراج، نشأة ابن تغرى بردى، ص٦٩.

[١٤٠] الظاهر جقمق: أبو سعيد بن عبد الله العلائي الظاهري سلطان الديار المصرية والبلاد الشامية والأقطار الحجازية، الملك الرابع والثلاثون من ملوك الترك والعاشر من الجراكسة تنقلت به الأحوال حتى ولي سلطنة مصر، غزا رودس ولم يفتحها وعمر في أيامه الشيء الكثير من المساجد والقناطر والجسور توفي سنة (٨٥٧هـ/ ١٤٥٣م) ،انظر الحنبلي، شذرات الذهب ، ج٧، ص ٢٩١.

[١٤١] ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٥، تحقيق : محمد حسين شمس الدين، ص ٢٣٧.

[١٤٢] الظاهر تمربغا: وفي الأصل من مماليك الظاهر جقمق، اعتقه ورباه صغيراً، ثم تدرج في الوظائف حتى صار اتابكاً ثم ولي السلطنة سنة(٨٧٢هـ/ ١٤٦٧م) وكانت مدتها قصيرة وهي ثمانية وخمسون يوماً ،انظر عبد الملك المكي، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، ج٤، المطبعة السلفية ، القاهرة، ١٩٦١م، ص ٤٢.

(جمادى الأولى ٨٧٢هـ - رجب ٨٧٢هـ/ ١٤٦٧م) والتي نستشفها من عبارات المديح التي كان مؤرخنا يطري به السلطان[١٤٣]، وكذلك ربطته علاقة قوية بالسلطان الأشرف قايتباي[١٤٤] (٨٧٢هـ-٩٠١هـ/ ١٤٦٧م-١٤٩٥م) الذي كان يستدعيه ليشهد على بعض الإجراءات التي أمر بأتخاذها في الدولة.

هكذا تيسر لأبى المحاسن من أسباب المعيشة الرغدة ماجعلة يعيش كأحد اكابر أولاد الناس ، وهذا جعلة قريبا من بلاط السلاطين ومن كبار رجال الدولة . يستمدون منهم أدق الاخبار وأصحها . كما ان ماتوفر له من أسباب الثراء جعله فى غير حاجة الى إستجداء الوظائف أو طلبها عن طريق البذل حسب روح العصر . وبالتالى حقق له ذلك قدرا كبيرا من الاستقلال فى الرأي[١٤٥].

نخلص من ذلك أنه توافرت لابن تغري بردي الكثير من العوامل التي أثرت فى فكره التاريخى سواء كانت احوال عصره او نشأته او وضعه الاجتماعى ، الذى سهل له الاختلاط بكبار رجال عصره ؛ كل هذه العوامل ساعدته للعكوف على تصنيف مؤلفاته وخاصة النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة.

المصادر والمراجع

(١٤٣) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ، ج ١٦ ، تحقيق : محمد حسين شمس الدين ، ص ٣٥٣.

(١٤٤) الاشرف قايتباي: أبو النصر قايتباي الجركسي الظاهري وهو السلطان الثالث والأربعون من الملوك الأتراك بعد الايوبين، ولي السلطنة سنة(٨٧٢هـ/ ١٤٦٧م)واستمر بها حتى سنة(٩٠١هـ/ ١٤٩٥م) انظر شمس الدين ابن طولون ،(ت ٩٥٣هـ/ ١٥٤٦م)، مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، ق١، تحقيق محمد مصطفى، القاهرة ١٩٦٢، ص٦٥، ٢٠٥.

(١٤٥) Weit, L,historien Abul-mahasin, in BIE, t. XII, 1929-1930 PP. 100-103.

اولاً : المصادر

١- ابن اياس (محمد ابن احمد بن اياس المصرى ت٩٣٠هـ/١٥١٠م)
- بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج٢، تحقيق محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٦٣م.

٢- ابن تغري بردي (جمال الدين ابو المحاسن يوسف ت٨٧٤ هـ /١٤٦٩م)
- النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، عدة أجزاء ، تحقيق: محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٩٢م.
- المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى ، ج٢ ، تحقيق: محمد محمد أمين ، القاهرة ١٩٨٤.
- الدليل الشافى على المنهل الصافى ،ج٢، تحقيق: فهيم شلتوت ، القاهرة ١٩٩٨.

٣- ابن حجر العسقلانى (أحمد بن على بن محمد ت ٨٥٢هـ/١٤٤٩م)
- أنباء الغمر بأبناء العمر ، ج٤ ، تحقيق : محمد عبد المعيد خان ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٨٦.

٤- ابن شاهين (غرس الدين خليل ت٨٧٣هـ/١٤٦٨م)
- زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، صححه بولس راويس، المطبعة الجمهورية ، باريس١٨٩٤م).

٥ – ابن الصيرفى (علي بن داود ت٩٠٠هـ/١٤٩٤م)

- نزهة النفوس والأبدان ،ج٣، تحقيق: حسن حبشى ، القاهرة د ت .

- أنباء الهصر بأبناء العصر ، تحقيق : حسن حبشى ، القاهرة ١٩٧٠.

٦ - ابن طولون (شمس الدين محمد بن على ت٩٥٣هـ/١٥٤٦م)

- مفاكهة الخلان فى حوادث الزمان ، ج١، تحقيق محمد مصطفى، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة ، القاهرة ١٩٦٢م.

٧- ابن العماد الحنبلى (أبو الفلاح عبد الحى بن أحمد ت١٠٨٩ه/ ١٦٧٩م)

- شذرات الذهب فى أخبار من ذهب (عدة أجزاء) ، تحقيق: عبد القادر أرناؤطى ، دار ابن كثير ، القاهرة ١٩٨٦.

٨- أبن منظور (جمال الدين محمد بن مكرم الأنصارى ت٧١١ه / ١٣١١م)

- لسان العرب ، تحقيق : يوسف خياط ، نديم مرعشلى ، بيروت ١٩٥٥م.

٩ – البغدادى (اسماعيل بن محمد بن سليم البابانى)

- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ،ج٢، أستنبول ١٩٥٥م.

١٠- البيرونى (أبو الريحان محمد بن احمد ت٤٤٠ه/١٠٤٨م)

- الأثار الباقية عن القرون الخالية ، تحقيق: أدورد سخاو ، لابيزخ ،المانيا ١٩٢٣م .

١١- حاجى خليفة ، كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون ،ج١، ط٣، المكتبة الاسلامية ، طهران ١٩٤٧.

١٢- الداودى (شمس الدين محمد بن على ت٩٤٥هـ/١٥٣٨م)

- طبقات المفسرين تحقيق علي محمد عمر،ج١، ط١، مطبعة الاستقلال الكبرى، القاهرة، ١٩٧٢م.

١٣- السخاوى (شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن محمد ت٩٠٢ه/١٤٩٧م)

- الذيل على رفع الأصر ، تحقيق: جودة هلال ،محمود صبيح ، مراجعة على البجاوى ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة د ت .

- الضوء اللامع فى أعيان القرن التاسع ، عدة أجزاء ، القاهرة ١٣٥٣ه.

١٤ – السيوطى (الحافظ جلال الدين عبد الرحمن ت ٩١١ه/١٥٠٥م)

- حسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة ،ج٢، تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٩٧.

- نظم العقبان فى أعيان الأعيان ، حرره :فيليب حتى ، المطبعة السورية الامريكية ، نيويورك .١٩٢٧

١٥- القرشى (محى الدين أبو محمد عبد القادر ت ٧٧٥هـ/١٣٧٣م)

- الجواهر المضية فى طبقات الحنفية ،ج١، مطابع دائرة المعارف العثمانية ، حيد اباد ، الدكن ، الهند .١٩١٣

١٦ – القلقشندى (أبو العباس احمد بن على ت٨٢١هـ/١٤١٨م)

- صبح الاعشى فى صناعة الانشا ، مجموعة أجزاء ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة ، وزارة الثقافة والأرشاد القومى ، القاهرة .١٩٦٣

١٧- المقريزى (تقي الدين أحمد بن علي ت٨٤٥هـ/١٤٤١م)

- أتعاظ الحنفا بأخبار الائمة الفاطميين الخلفا ، ج١ ، تحقيق: جمال الشيال ، القاهرة ١٩٦٧.

١٨- المكى (عبد الملك بن حسين بن عبد الملك ت١١١١هـ/١٦٩٩م)

- سمط النجوم العوالي في انباء الأوائل والتوالي، المطبعة السلفية ، ج٤، القاهرة١٩٦١م.

المراجع العربية :

١- أبراهيم طرخان
- مصر فى عصر دولة المماليك الجراكسة ، مكتبة النهضة ، القاهرة ١٩٦٠م.
٢- أحمد عبد الرازق
- المرأة فى مصر المملوكية ، مكتبة الشريف ، القاهرة ١٩٧٥.
- البذل والبرطلة زمن سلاطين المماليك ، الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة ١٩٧٩.
٣- أحمد عبد الكريم سليمان
- تيمورلنك ودولة المماليك الجراكسة ، دار النهضة العربية ، القاهرة ١٩٨٥.
٤- أحمد دراج
- المماليك والفرنج فى القرن التاسع الهجرى /الخامس عشر الميلادى ، القاهرة ١٩٦١.
٥- أنور زناتى
- معجم مصطلحات التاريخ والحضارة ، دار زهران ، الأردن ٢١٠.
٦- حسن الباشا
- الألقاب الأسلامية فى التاريخ والوثائق والأثار ، الدار الفنية للنشر ، القاهرة ١٩٨٩.
٧- خير الدين الزركلى
- الأعلام ، عدة أجزاء ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٠م.
٨- سعيد عاشور
- الأيوبيون والمماليك فى مصر والشام ، القاهرة ١٩٦٦.
- العصر المماليكى فى مصر والشام ، دار النهضة العربية ،القاهرة ١٩٦٥.
٩- شاكر مصطفى
- التاريخ العربى والمؤرخون ،ج٣ ، بيروت ١٩٩٠م.
١٠ – عبد الرحمن ذكى

- تراث القاهرة العلمى والفنى فى العصر الاسلامى ، مكتبة الانجلو ، القاهرة ١٩٦٩.

١١- عبد السلام فهمى

- السلطان محمد الفاتح : فاتح القسطنطينية ، دار القلم للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٨٩.

١٢- عبد المنعم ماجد

- التاريخ السياسى لدولة سلاطين المماليك فى مصر ، مكتبة الأنجلو ، القاهرة ١٩٨٨.

- نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم فى مصر ،ج٢، القاهرة ١٩٦٧.

١٣- على سالم النباهين

- نظام التربية الاسلامية فى عصر دولة المماليك فى مصر ، القاهرة ١٩٨١.

١٤- علاء طه رزق

- عامة القاهرة فى عصر سلاطين المماليك ، القاهرة ٢٠٠٣.

١٥- فوزى جرجس

- دراسات فى تاريخ مصر السياسى منذ العصر المملوكى ، القاهرة د ت.

١٦ – قاسم عبده قاسم

- عصر سلاطين المماليك(الاحوال السياسة والاجتماعية) القاهرة٢٠٠٧.

١٧ – محمد مصطفى زيادة

- المؤرخون فى مصر ، القاهرة ١٩٥٤م.

١٨- مصطفى الشكعة

- مناهج التأليف عند العلماء العرب ، دار العلم للملايين ، بيروت١٩٧٣.

المراجع المعربة :

١ – شاخت وبوزورث

- تراث الاسلام ،ج١، ترجمة :محمد زهير السمهورى ،تحقيق: وتعليق : شاكر مصطفى ، الكويت .١٩٨٨

٢- رينهارت دوزى

- تكملة المعاجم العربية ،ج٢ ، ترجمة :محمد سليم النعيمى ،دار الرشيد ، بغداد .١٩٨١

٣- لين بول

- سيرة القاهرة ،ترجمة :حسن ابراهيم حسن وأخرون ،القاهرة.١٩٨١

٤- وليم موير

- تاريخ دولة المماليك فى مصر ، ترجمة : محمود عابدين ، القاهرة ١٩٦٥.

المراجع الاجنبية:

Dopp, (P.H)

- Le caire vu par Les Voyageurs Oecidentaux du Moyen age , Bulletine de La S.R.de Geographie d Egypte , 1950

William Benton

– -The New Encyclopadia Britannica, great britian , london,1973 AD.

Weit
-- L,historien Abul-mahasin, in BIE, t. XII, 1929-1930 .

الندوات والدوريات والمجلات العلمية:

- أحمد دراج

- نشأة أبو المحاسن وأثرها في كتابته التاريخية، بحث من ندوة المؤرخ ابن تغرى بردى، القاهرة ١٩٧٤م

- سعيد عاشور

- مكانة ابن تغرى بردى بين مؤرخى مصر فى القرن التاسع الهجرى ، بحث من ندوة المؤرخ ابن تغرى بردى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ١٩٧٤

- تاريخ المدارس فى مصر الاسلامية ، مقال من سلسلة تاريخ المصريين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٩٢.

- محمود اسماعيل

- منهج المؤرخ ابن تغرى بردى فى كتابة النجوم الزاهرة ، بحث من ندوة المؤرخ ابن تغرى بردى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٤.

- نعمان الطيب سليم

- الخوانق ، مقال من مجلة كلية اللغة العربية ، جامعة الازهر ، العدد السابع ، القاهرة ١٩٨٩.

الرسائل العلمية

- **محمد كمال الدين عز الدين**
- الحركة العلمية فى مصر فى عصر المماليك الجراكسة ، المجلد الثالث، رسالة دكتوراة منشورة بكلية البنات جامعة عين شمس ، القاهرة ١٩٨٩.